براءة ظُلمه

(الجزء الثاني)

الكتاب: براءة ظُلمه.

المؤلف: رحمة نبيل.

الغلاف: علي إيهاب.

رقم الإيداع: 10036

الترقيم الدولي: 5 - 94 – 6812 – 977 – 978

المراجعة اللغوية: مكتب مدينة الكتب للخدمات.

الإخراج الفني: دار المدينة للنشر والتوزيع والترجمة.

رئيس مجلس الإدارة: محمود عادل محمود

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز لأي صورة نشر، أو اقتباس، أو إعادة طبع أي جزء من الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو كان أو بأي طريقة سواء أكانت إلكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر.

العنوان4 ح جامع بلال– الشرابية - القاهرة

البريد الإلكتروني: Citybooks20@gmail.com

رواية

براءة ظُلمه

(الجزء الثاني)

رحمة نبيل

إهداء

إهداء إلى من شاركتني آلامي واوجاعي.. إلى أمي.

فاعذريني غاليتي فلن توفيكِ بعض السطور حقك.

***

إهداء لأبي الذي كان خير عون وسند لي منذ بدأ حياتي.

***

إهداء لتلك الصديقة التي شاركتني دموعي وضحكاتي شاركتني كل لحظة من لحظات حياتي.

***

إهداء لمن تطيب بهم الأوقات، أصدقاء اليوم وكل يوم، من تحلو معهم الضحكة ويطيب بهم الحديث.

***

إهداء لأصدقاء بل أخوة تحطمت معهم مقولة (الأصدقاء هم من استمروا معك سنين وسنين) لكن عفوا فمنذ يومي الأول معهم اضحوا لي عالما.

***

إهداء لصديقه ساندتني منذ خطوت أولى خطواتي في هذا الطريق.

***

إهداء لشريكتي في الوجدان، ولتعلما أنني لطالما كنت فخورة بصداقتنا وأكثر من فخورة بكم بعد أن كنتم يومًا من الكتاب المفضلين لي، اضحيتم الآن أقرب لي من نفسي.

***

إهداء لكلًا من أختي وأبنة عمي، لن أنسى دعمكما يوماً.

***

وأخيرًا إهداء لكل من أسعدت قلبي يومًا بكلمة تشجيع أو دعم، لم تكونوا يومًا مجرد متابعين أو جمهور بل كنتم ويشهد الله على كلامي أكثر من أسرة، أسرة كبيرة أفتخر دائما بامتلاكها.

شكرا لكم.

(المقدمة)

وها أنت سيدي رغم عِنادك ورغم اصرارك قد استجبت لجذبي.

رغم صلابة اسوارك قد انحنت لرياحي.

لذا لا تحاول أن تزيد في العناد فرغما عنك قد توغلتُ لسجنك، ورغما عنك سأخرجك منه.

مُدّ يدك وامسك بيدي، دعني اسحبك للنور، دعني اريك العالم من خلال عيوني، علّي أتمكن واخيرا من تحريرك من ظلمتك.

علّي أكون براءة لك....

(الفصل الاول)

على إحدى الطرق السريعة والتي كانت شبه خالية من السيارات انطلقت سيارة وائل تشق طريقها نحو المدينة رغبة في التسوق وشراء كل ما ينقصهم ، في وسط هدوء مريب من الجميع، كان زين يجلس بالامام جانب وائل والفتيات بالخلف وكلما ألتقت عينه بعين براءة أشارت له على رقبتها بحركة السكين، كتم زين ضحكته عليها بصعوبة .

بينما وائل كان ينظر لحياة اكثر مما ينظر للطريق أمامه، لكنها لم تنتبه له بل كانت في عالمها الخاص بعيدة عن الجميع حيث كانت تتذكر تلك الأوقات مع جدتها الراحلة حينما كانت تضع رأسها على قدمها مستكينة بين يديها .

زفر زين بضيق من نظرات براءة فصرخ دون وعى منه :

- هخزق لك عينك يا براءة لو مسكتيش

ابتسمت له براءة لتغيظه، بينما هو تجاهلها، فمنذ الصباح وهي تستمر بحركاتها تلك تظن أنها هكذا تنتقم منه لجعلها تنام أرضا وكأنها لم تسقط عليه كاسرة له أضلاعه .

واخيرا وصل الجميع للمدينة وهبطوا ليتفرقوا بحثا عما يريدون مع الاتفاق بالتجمع في نقطة معينة بعد الانتهاء ، امسك زين يد براءة جيدا وكأنها ستضل منه، أخذ يتحرك بها بين المحلات يبحثون عما ينقصهم لكن فجأة سمع الاثنان هتاف عالي يأتي من خلفهم، نظرت براءة لزين متعجبة ذلك الصوت لينظر الاثنان للخلف مندهشين ذلك الصوت ليصدموا من عدد الكلاب الكبير الذي يركض جهتهم وكأنهم في مارثون.... عادت براءة للخلف بخوف تنظر للكلاب الذين يركضون جهتهم وفي ثواني كانت تركض تاركة زين يحدق بتعجب في الكلاب..... صرخت براءة بجنون تهرب من الكلاب بينما زين اخرج شارته ليقول بصوت عالي مشهرا الشارة في وجه الكلاب وكأنه يواجه مجرم :

- بوليـــــــــــس.....

نظر له براءة ببلاهة ثم عادت لتجذبه بعنف صارخة به دون أن تنتبه لشارته فقد كانت تظنه يمزح لا اكثر :

- ما تطلع كلبشات بالمرة وتجرهم على البوكس ... اجري يا اهبل بوليس ايه؟؟

نظر لها زين مصدوما من اهانته هو فعل ذلك لأنه يتحكم في الكلاب بهذه الطريقة ولكنه لم يستوعب أن الكلاب الأخرى مدربة..... خرج من شروده على صراخ براءة به :

- اجري الله يلعن معرفتك السودة اللي من يوم ما لمحت خلقة اهلك وانا المصايب نازلة فوق دماغي

صاح زين بها مستنكرا:

- انا اللي معرفتي سودة يا بومة... ياللي من يوم ما شوفتك وانا مش عارف اعيش يوم زي البني ادمين

نظرت براءة خلفها لتجد الكلاب تركض خلفهم فتصرخ برعب جاذبة زين إليها :

- يا جدعان محد يشوف ام الكلاب اللي مش لاقية حد يسأل عليها دي.....

ركض الاثنان اكثر حتى وصلوا لشريط ملون يشبه الشريط الذي يوجد في نهاية السباقات عادة....

نظر زين حوله ليرى بعض الأشخاص يتابعون ما يحدث ليقول بادراك :

- هو احنا تقريبا اللي اغبية

نظرت له براءة بتعجب ليبتسم لها جاذبا إياها على أحد الأرصفة الجانبية لتتخطاهم مجموعة الكلاب مكملة طريقها نحو الشريط

حدقت براءة بتعجب في زين..... ليشير بيده على إحدى اللافتات فوجدت أن هذا ليس سوى سباق للكلاب

قالت براءة بتفكير :

- سباق كلاب!!! ضاقت بيهم الدنيا يعني ولا الاحصنة اعتزلت السباقات..... وعلى كده الجايزة مغرية أصل احنا سبقناهم كلهم

سبقها زين يقول ساخرا :

- يا فرحتي يوم ما نسبق.... نسبق كلاب يعني بقينا الكلب والكلبة الأوائل

ضحكت براءة بشدة على حديثه :

- كلاب كلاب المهم اوائل... طول عمري كان نفسي اجرب احساس اوائل الدفعة... بس تعرف مش قد كده على فكرة الواحد اهو طلع اول على كلاب المنطقة كلها و طلع الاحساس عادي يعني مش مميز زي ما كنت بسمع

هتف زين ينظر حوله للمحلات باحثا عن شئ معين :

- بكرة تتغيري وتتكبري علينا يا نجمة

ضحكت عليه براءة تضربه على كتفه بمزاح :

- هحاول اني اتواضع معاكم يا باشا

اكمل الاثنان السير حتى توقفوا أمام صيدلية نظر زين لبراءة بتردد :

- احم هو ممكن تروحي تشوفي لبس في المحل ده لغاية ما اجيب حاجة واجيلك؟

نظرت براءة للصيدلية بتعجب قائلة:

- هتجيب ايه من الصيدلية انت تعبان؟

هز رأسه برفض ثم قال يحاول أن يبعد عينه عنها :

- لا بس هجيب شوية حاجات شخصية

ضحكت براءة بشدة وهى تقول :

- المفروض انا اللي اقولك كده على فكرة بس ماشي

انهت كلامها بغمزه ففتح هو عينه بصدمة قائلا:

- انتِ فكرتي في ايه يا بلوة إنتِ ، انا قصدي استخدامات شخصية زى مكنة الحلاقة وفرشة السنان وكدة يعني

ضحكت براءة وهى تتركه متجهة لمحل الملابس المجاور قائلة:

- ماشي ماشي شكلك مكسوف مني همشي وشوف هتجيب ايه

أنهت حديثها بغمزة أخرى ورحلت مما جعله يضرب كف بكف من جنونها ذلك ودخل الصيدلية ينظر حوله حتى وجد فتاة تنظر لهاتفها، فتقدم منها قائلا :

- لو سمحتِ.....

لم يبدو أن الفتاة انتبهت له لذا أعاد منادته لها فأنتبهت تشير بيدها :

- لحظة بس يا كابتن كده

ثم نظرت للهاتف قائلة بفزع :

- الحقيه يابت هيموت الحقيه

انتبه زين لصراخها ذاك فصمت منتظرا انتهاء حديثها الذي يبدو خطرا، صاحت الفتاة بعنف :

- حرام عليك اوعى تقتله، حرام عليك

كانت حواس زين متحفزة للأمر فقال بأهتمام شديد :

- فيه حاجة يا انسه!

أشارت له أن يهدأ قائلة:

- ارجوك لحظة من غير صوت ارجوك.

صمت زين يفكر ربما خُطف احد الأقرباء منها وهى تتحدث معه الان لذا يجب أن يلتزم الصمت حتى لايظنوا أنها استعدت الشرطة، ازداد صراخ الفتاة :

- لا لا ابوس ايدك بلاش ابوس ايدك حرام عليك

كانت أعصاب زين تحترق يود لو يأخذ منها الهاتف ويصرخ بمن فيه وفجأة صمتت الفتاة تزامنا مع سماعه لصوت رصاص، فأرتخى جسدها الذي كان متحفزا وسقطت يدها بجانبها وقد أصبحت ملامحها اشبه بالميت وشخصت نظراتها للأمام ، أقترب منها زين سريعا وسحب الهاتف بعنف وعصبية يُحضّر نفسه وكأنه سيهجم على من في الهاتف

لكن تصنم ينظر للهاتف بعدم فهم يرى الشاشة مكتوب عليها (حاول مرة أخرى) ضيق حاجبيه بغباء وهو يعطيها الهاتف :

- هو فين الرهينة؟؟

تحدث الفتاة تأخذ الهاتف بامتعاض قائلة :

- رهينة مين يا عم احمد عز إنت؟؟

تحرك زين مبتعدا لمكانه السابق :

- انتِ كنتِ بتصرخي من شوية وتقولي...

قاطعته تضحك بعنف قائلة ببلاهة:

- دي لعبة عادي وشريكي الغبي كان هيقتلني و....

ضرب زين بعنف على الطاولة التي بينهم يهدر بها :

- نعم ياروح أمك

كانت براءة تسير و تنظر للثياب في المحل بملل فهي حتى الآن لم تجد أى شئ يلفت انتباهها لذا قررت أن تذهب لعاملة المحل وتصف لها ما تريد علّها تساعدها، بالفعل اتجهت لعاملة المحل التي كانت تحمل مرآة تعدل من هيئتها كأنها على وشك الصعود على المسرح.

تحدثت براءة تنظر حولها في المحل :

- لو سمحتِ يا قمر الاقيش عندكم ل....

لم تكمل حديثها بسبب استدارة الفتاة لها ترمقها من أعلى لأسفل باشمئزاز قائلة :

- مش هتلاقي هنا ذوقك يا عسل في محل اخر الشارع بيبيع مستعمل روحي يمكن تلاقي عندهم حاجة تناسبك

نظرت لها براءة بعدم فهم ثم نظرت لثيابها التي كانت مزرية بعض الشئ فهى نفسها الثياب التي كانت ترتديها قبل هروبها وسقطت بها في البحيرة وايضا قضت بها يومين اخرين رغم أنها تغسلها باستمرار.

حاولت براءة أن تتبسم :

- ايوة فعلا منا بكلمك عشان كدة انا ملقتش ذوقي هنا، فكنت هسألك لو عندكم لبس يتلبس بدل القماش اللي برة ده ابقى شاكرة ليكي

نظرت لها الفتاة بصدمة ثم قالت بإستهزاء :

- حبيبتي شكلك كده جاهلة ومتفهميش في اللبس، كل اللي انتي شايفاه ده وبتقولي عليه مجرد قماش هو آخر صيحات الموضة

لوت براءة فمها بتهكم :

- صاحوا عليكي ساعة يا بعيدة

تحدثت الفتاة بنفاذ صبر :

- حضرتك شكلك أساسا مش داخلة تشتري، أصل مش شايفة معاكي فلوس ولا شنطة ولا غيرة فلو انتِ من النوع اللي بيدخل يسأل وخلاص فاتفضلي اطلعي عشان انتِ عاملة ازعاج للزباين

نظرت براءة حولها ببلاهة تبحث عن الزبائن الذين تتحدث عليهم ثم ابتسمت بسخرية :

- اسفة اني عطلتك وازعجت الزباين اتفضلي كملي شغلك لأحسن الزباين كده يزهقوا.... اسفين يا جماعة اخرتكم

انهت حديثها الساخر للهواء ثم كادت تذهب لكن توقفت قليلا تشير لوجه الفتاة :

- صحيح فيه حتة سادة في وشك اهي، اديها وش محارة وبعدين ادهنيها... متدهنيش على الناشف كده لأحسن يشقق بعدين .

ثم تركتها وخرجت تنظر للمحل بضيق لكن عادت مجددا للمحل واسقطت الملابس المعروضة بالخارج لعلّها تنفس بعضًا من ضيقها ، صرخت بها الفتاة بغيظ شديد وغضب بينما ركضت براءة سريعا و اتجهت للصيدلية لتبحث عن زين لكن بمجرد دخولها هتفت بعدم فهم:

- هو فيه إيه؟

كان وائل يسير مع حياة ينظر لها بترقب بعد أن أنتهى من شراء ما يريد وهي حتى لم تنظر للمحلات، زفر بضيق قائلا :

- يابنتي شوفي عايزة تشتري ايه عشان منرجعش وتفضلي تقولي عايزة وعايزة

نظرت له حياة بتحفز :

- انا امتى قولتلك عايزة وعايزة؟

ابتسم وائل فأخيرا اجبرها على أن تتحدث معه :

- طب ما انا عايزك تبقى عايزة يا حياة، اطلبي يا ستي مش هقول لا، يا حياة عايز احس اني عايش طبيعي زى اى حد والله أنا تعبت، هفضل اتحاسب على غلطة لحد ما اموت وانا أساسا ضميري مش مريحني

هبطت دموع حياة تقول بضعف :

- مقدرش انسى دموع رجاء ولا اقدر انسى وجعها ولا صريخها اللي لسه بيرن في وداني، انا لو ضحكت ليك بحس أنها واقفة بتبصلي بخيبة امل اني بخونها

شعر وائل بالصدمة من حديثها لهذه الدرجة تشعر بالضيق من قربه ولا تطيق حتى أن تبتسم له، ابتلع ريقه يرمقها بوجع قائلا :

- مفيش اى أمل انك في يوم تنسي وتعيشي معايا عادي، اى أمل يا حياة حتى لو مش دلوقتي انا هستنى عادي.

لم تجب عليه حياة بل استمرت بالنظر أمامها بجمود، هز وائل رأسه بتفهم :

- فهمت ، تأكدي اني عمري ما هزعجك أبدا او أقرب منك، ولما نرجع البيت ونخلص من كل حاجة تقدري تطلبي الطلاق عادي لو تحبي؟

نظرت له برعب، ضمت الصغير بخوف كنوع من الحماية انتبه هو لحركتها تلك قائلا ببسمة حزينة يربت على رأس صغيره:

- متخافيش مش هاخد منك يحيى، لو طلبتي الطلاق يا حياة هجبلك شقة جنبنا وهسيب يحيى معاكي انتِ هتاخدي بالك منه آكتر وكمان انا حاليا في اجازة بس لما ارجع الشغل مش هكون متفرغ كتير اني اخد بالي منه.

أنهى حديثه ينحني ويقبل رأس طفله بحزن ليكمل :

- شوفي لو ناقصك حاجة نجبها قبل ما نرجع

هزت رأسها بنفى وهى مازالت صامتة فزفر بضيق وتركها واقفة وذهب لاحد المحلات وتأخر قليلا ثم عاد وأشار لها قائلا :

- نمشي؟؟

هزت رأسها بتعجب ثم سارت خلفه نحو سيارتهم.

دخلت براءة للصيدلية فوجدت فتاة تقف أعلى طاولة العلاج وامامها يقف زين يحدجها بنظرات غاضبه وكانت عروقه بازرة فركضت بسرعة لتقف امامه تمثل درع للفتاة التي تبدو أنها في التاسعة عشر او اصغر، هتفت براءة تنظر خلفها :

- فيه إيه ياباشا اهدى بس مين اللي عصبك بس؟

صرخ زين بعصبية مرعبة وردة فعل لم يتحكم بها :

- المتخلفة اللي وراكي دخلت لقيتها عمالة تصرخ وتقول لا متقتلوش اوعى حرام عليك وفي الاخر الأستاذة طلعت بتلعب لعبة، يا أخي احمس

نظرت له براءة بتعجب تردد كلمته خلفه:

- احمس؟؟

ثم نظرت للفتاة خلفها والتي كانت تنظر له بخوف ثم قالت :

- خلاص اهدى يا زين عادي هى كانت بتلعب عادي

صرخ زين بطريقة مرعبة لبراءة .... ترمق ردة فعله المبالغ فيها بصدمة:

- تلعب ولا تتنيل على عينها انا مالي ان شالله تولع بالمخروبة دي، اللي معصبني انها عمالة تصرخ لما وقعت قلبي ومش بس كده طلعت لطعاني عشان لعبة

نظرت براءة للفتاة بشفقة لخوفها ذاك ثم حاولت التحكم بغضب زين فسمعت الفتاة تقول :

- يا انسه ده مش طبيعي خديه يكشف مخ وأعصاب ردة فعله مش طبيعية، تقريبا عنده حالة هياج

هنا فقد زين العصابة تماما فأخرج سلاحه يوجهه تجاهها :

- انا مش طبيعي؟؟ تمام أنا بقى هوريكي مين اللي مش طبيعي

ولم يكد يفعل شئ حتى وقفت براءة أمامه تمسك يده التي تحمل المسدس تقول بهدوء وكأنها تحدث طفل :

- هى مش قصدها يا زين ، اهدي بس ماشي اهدى انت كنت عايز ايه وانا اجيبه ليك طيب

نظر زين لهم شعر أنهم ينظرون له بشفقة او يظنونه مجنونا، لذا دون شعور صرخ ببراءة :

- اخفي من وشي، انا مش مجنون ولا عيل صغير عشان تكلميني كده

هبطت دموع براءة برعب لكن ليس على نفسها بل عليه .

عندما رأى زين دموعها شعر بالوجع فها هو مجددا يتسبب في أذية من يحبهم، يحبهم؟؟ توقف عند هذه الكلمة برعب ثم هز رأسه بنفى وخرج راكضا من الصيدلية تاركا في اثره براءة تنظر للفتاة بحزن ثم مسحت دموعها قائلة ببسمة مهتزة :

- بعتذر ليكي هو مكنش قصده حاجة هو بس يمكن اتعصب عشان حاليا ظروفنا صعبة شوية

ثم خرجت من الصيدلية تفكر بما حدث منذ قليل

كان زين يركض كالمجنون في الطرق حتى وجد نفسه قد ابتعد عنهم كثيرا نظر حوله بتعب ثم انهار عند أقرب مقعد وجده في الطريق، يؤنب نفسه ويعاتبها على نكثها للوعد الذي قطعته سابقا، كيف سمح عقله للقلب أن يحب بعد أن أخذ قديما عهدا عليه ألا يفعل ، لكن غفل الجميع أن القلب خدعهم واوهمهم أنه لا يستطيع فعل شئ وحده وأنه سيستجيب لأوامر عقله، بينما هو في الحقيقة قائد نفسه فلا يترك أحد يتحكم به، وها هو وقد نجح في خداعهم جميعا واحبها هي من بين الجميع، احب من لا تشبهه، احب من تعيش حياة غير حياته، احب من تنتهج اسلوب غير اسلوبه، ياللسخرية فها هو قلبه يقع في شر أعماله بعد أن كان لا حاكم عليه ، أصبح الان اسيرها هي، أسير نظرتها واسير بسمتها، فهذا القلب الغبى قد سلمها كل مقاليد الحكم عليه واضحى لا ينبض سوى لبسمتها ، أصبح لا يضخ الدماء سوى لرؤيتها.

أرجع زين رأسه للخلف يشرد في وقت اقسم فيه ألا يحب أحد او يسمح لأحد أن يقترب من دائرته الخاصة فيكفيه ما عانى بسبب ذلك

(عام ٢٠١١)

أصبح زين لا يهتم برؤية مؤمن او يهتم بأخباره أبدا ظنا منه أنه يحميه ببعده عنه، لكن ما لم يكن يعلمه أن بعده عن مؤمن كان سببا في غرقه تدريجيا.

دخل زين للمنزل بعدما عاد من كليته فوجد والده يجلس في انتظاره حاول أن يظهر بسمته التي خرجت باهته ضعيفة، اقترب زين من والده ثم قبّل رأسه قائلا ببسمة :

- ايه يا عزيز مش شايف يعني افلام كرتون ولا حلقات مسلسل؟

تحدث عزيز دون أن ينظر له :

- امتى آخر مرة أخدت فيها دواك يا زين؟

ابتلع زين ريقه وقد علم سبب تجهم وجه والده فأجاب عليه يجلس بهدوء :

- مش فاكر تقريبا امبارح كنت أخدته و

قاطعه عزيز وهو يضرب الطاولة بغضب :

- متكدبش يا زين

امتعضت ملامح زين فأكمل عزيز صارخا :

- الصيدلي بلغني انك مطلبتش الدواء بتاعك من شهرين أو اكتر يعني بقالك شهرين من غير دواك تقدر تقولي ليه؟

أجاب زين بخفوت وبرود شديد يخفي بركان خلفه :

- عشان تعبت

نظر له عزيز بتهكم قائلا :

- تعبت!!

هنا بدأ زين في الانتكاس بعدما كان يتحكم في نفسه فنهض صارخا بجنون :

- آه تعبت وزهقت ومبقتش طايق حياتي دي ، حرام بقى ارحموني تعبت من الادوية تعبت من الخوف اللي جوايا ده تعبت يابابا تعبت حرام عليك ارحمني

بكى عزيز يقترب من ابنه بحزن :

- حرام عليا انا يا زين؟؟ يابني انت لو ما انتظمتش في العلاج هـ...

قاطعه زين بعضب يضرب الطاولة بقدمه :

- هـ ايه؟؟ هتكتفني وتبعتني مستشفى المجانين عشان مش باخد الدوا

أمسكه عزيز من ثيابه يهزه بعنف :

- افهم انت مش مجنون انت عندك اكتئاب يا زين اكتئاب حاد بياكل فيك لحد ما تتدمر يا بني، انت بقى عندك حالة نفسية بقيت تخاف إنك تدخل حد حياتك

أبعد زين يد والده وهو يقول بدموع :

- ادخلهم حياتي عشان ايه؟؟ عشان اتعلق بيهم، وبعدين يسبوني، ويضيعوا بسببي؟؟ عشان يموتوا زى ماما؟؟ ولا عشان ينضربوا زى مؤمن ويبقوا بين الحيا والموت؟؟

بكى عزيز بشده وهو يقول :

- يابني حرام عليك وحّد ربك دي أقدار انت ملكش يد فيها انت مجرد سبب

صرخ زين وهو يبكي وقد فاض به الأمر :

- وانا مش عايز اكون سبب في موت حد يابابا مش عايز اكون سبب في أذية الناس اللي بحبهم، مش عايز اتوجع

قال عزيز باستنكار لتفكير ابنه :

- والحل انك تبعدهم عنك؟؟ يابني ريح قلبي وروح لدكتور.... طيب بلاش علاج روح لدكتور يمكن يقدر يساعدك انت كل مادا حالتك بتسوء لغاية ما هيجي يوم وهتبقى لوحدك

اقترب عزيز من ابنه الذي ينكس راسه أرضا ثم امسك وجهه بحنان يقول له :

- يابني ريح قلبي خايف يوم ما اموت اسيبك عايش لوحدك يا زين

ضم زين والده برعب يبكي بانهيار :

- لا يا عزيز بالله عليك مبقاش ليا غيرك متسبنيش وانا هاخد العلاج والله بس بالله عليك بلاش سيرة الدكتور ده تآني، انا مش مجنون يا عزيز، مش مجنون

(الوقت الحالي)

شعر زين بهبوط دموعه ليهتف مبتسما بوجع :

- طلعت مجنون يا عزيز

خرجت شهقة منه دون شعور يمسح دموعه ويقول ببسمة :

- طلعت مجنون وزعقتلها وكنت هضربها، انا مجنون فعلا.

دخل فرج للغرفة التي يقيم بها عزيز في منزلهم ليراه يضب أغراضه القليلة التي أتى بها :

- برضو مصر تمشي دلوقتي ما تخليك معانا شوية

ألتفت عزيز ببسمة لفرج قائلا :

- لا كفاية آوي كده لازم ارجع عشان الشركة والدنيا اللي سايبها ورايا

كاد فرج يتحدث لولا أنه لمح إحدى ثياب عزيز التي تحمل رسم كرتوني ليقول بانزعاج :

- هو إنت ليه بتلبس الحاجات دي؟؟ مش شايف انها صغيرة شوية؟

نظر عزيز للثياب التي بيد فرج ليقول بضحك :

- هي مش صغيرة شوية هي صغيرة آوي كمان

تعجب فرج من حديثه :

- طب طالما إنت عارف أنه صغير آوي ليه بتلبسه ؟؟

جلس عزيز على الفراش ينظر للثياب بيده ليقول ببسمة موجوعة :

- يمكن عشان كان نفسي ألبسه وانا صغير بس مقدرتش فبعوّضه دلوقتي..

لم يفهم فرج حديثه ليوضح له عزيز :

- ابويا اتوفى من وانا لسه عيل في ابتدائي وسابلي امي في رقبتي فكنت بدل ما العب مع العيال كنت باخد حاجات واروح ابيعها في محطات القطر او المترو او غيره، كنت بشوف العيال

بتجيب لعب وتلعب وانا حتى مش عارف اشبع بالكام لقمة اللي باكلهم فكنت بصبر نفسي وبقول بكرة يجي واشتري لعب كتير اوي ليا لوحدي والبس زيهم والعب زيهم

تنهد بوجع يتذكر معاناته التي عاشها قديما :

- عشت ايام محدش يتحملها ما بالك بطفل... كنت باخد الكتب بتاعتي واروح اذاكر وانا بشتغل واشوف العيال ماشية مع أهلها رايحة المدرسة وهي بتضحك وبرضو كنت بصبر نفسي واقولها خلاص هانت بكرة العب زيهم واضحك زيهم

ابتسم بوجع مستديرا لفرج :

- بس بكرة ده مجاش غير لما كبرت وعدت بيا السنين وجبت زين وبدأت معاناتي معاه بعد موت والدته..... ولما الأمور استقرت قررت أن آن الأوان بكرة يجي

تحدث فرج مشفقا عليه :

- طب والناس اللي حواليك؟؟

هز عزيز رأسه بعدم اهتمام ليعود ويضب باقي أغراضه :

- مش بيهمني حد غير زين.... وطالما زين معندوش مشكلة فأنا مش بهتم بحد لأن نفس الناس دول وانا صغير محدش اشفق عليا فأنا شايلهم من حساباتي

ابتسم فرج يحاول إخراجه من حزنه :

- الله يكون في عون زين والله

ضحك عزيز يتذكر جنون ابنه بسبب أفعاله :

- يمكن زين بيتعصب من تصرفاتي وبيتخنق بس عمره ما حسسني في مره انه مكسوف مني او أنه بينبذ تصرفاتي يمكن لانه عارف انا شوفت ايه في حياتي فسايبني اعيش زي ما انا عايز

ضحك بصخب يكمل :

- بس ده ميمنعش انه ساعات كتير بيقف في وش حاجات عايز اعملها وعنده حق فعلا لاني بدون ارادتي ممكن اعمل تصرفات غبية شوية

ضحك فرج على تصرفاته لينهض قائلا أثناء خروجه :

- طب خلص وتعالي عشان نتعشى وابقى البس اسبونج بوب بيليق عليك

خرج فرج من الغرفة تحت ضحكات عزيز الذي نظر لحقيبته بشرود ليعود ويكمل ما كان يفعله...

كان جسدها يرتعش من البرودة وخاصة تلك الآتية من البحر، شعرت بدموعها تهبط والقلق قد ازداد.

فجأة وجدت سيارة وائل تقترب فهبطت الدرج بسرعة تتجه له حتى توقف وائل بسيارته أمام المنزل ولكنه هبط وحده ولم يكن معه أحد فقالت براءة بخوف :

- زين؟؟؟ هو مجاش معاك ليه؟؟ هو لسه متعصب مني؟

نظر لها وائل بشفقة على ارتعاشها ذاك فيبدو أنها لم تدخل للمنزل منذ اتت، تحدث بتعب :

- ملقتهوش في اى حتة وللأسف مش معاه تليفون عشان اكلمه

صرخت به براءة دون وعى :

- يعني إيه مش لاقيه؟ طب رجعت ليه كنت دور عليه لحد ما تلاقيه

نظر لها وائل بصدمة لصراخها به، فأنتبهت براءة للأمر وقالت :

- انا.. انا اسفة يا استاذ وائل انا بس قلقانة على زين مش اكتر، كتر خيرك تقدر تروح ترتاح

زفر وائل ثم قال يشعر بخوفها :

- انا متفهم خوفك ده يا مدام براءة بس القائد مش عيل صغير ويقدر يتصرف

تحدثت براءة بانتباه قائلة بتعجب :

- قائد؟؟

أدرك وائل أنه تخطى حدوده في الحديث فمسح وجهه بغضب ثم قال:

- متقلقيش يا مدام هو هيعرف يجي لوحده لأن قبل ما نخرج الصبح خلاني اكتبله المكان بالضبط

أنهى حديثه يود الذهاب من امامها سريعا ولكنه توقف بسبب مسكها له من ثيابه وهى تقول بإصرار كبير :

- انت مش هتتحرك من هنا غير لما اعرف ايه حكاية قائد دي

انتفض مجد بعنف يقول بصدمة كبيرة :

- يعني سوسيتا اللي جوا دي هى نفسها سوسيتا بتاعتنا

هز رائد رأسه وهو ينفث دخانه قائلا :

- امممم هى بنفسها

قال مجد بعدم فهم يتذكر سوسيتا رفيقتهم سابقا :

- طب ازاى انا معرفتهاش، دي كأنها واحدة تآنية

ضحك رائد بشدة يقول بينما يداعب وجه تلك التي تجلس بجواره :

- انت ناسي انك ماشوفتش سوسيتا زمان غير كام مرة ، ده غير أنها زى ما قولت اتغيرت

هز مجد رأسه بتفهم علاوة غلى ذلك كان الظلام كثيف بالداخل لذا لم يتعرف عليها او تتعرف هي عليه ثم قال :

- بس انت ازاى عرفتها؟

ضحك رائد بشدة وهو يقول :

- انا عمري ما انسى حد خدمني زمان، اى نعم هى خدمتني بمقابل بس مننكرش أنه بدون سوسيتا مكناش عرفنا ننفذ اللي عايزينه... ثم اني مكنتش متأكد انا شكيت بس في الاسم وهى بغبائها أكدت ليا الموضوع لما ملامحها اتغيرت بسبب صوتي عرفت انها نفسها سوسيتا بتاعتنا

تساءل مجد ينظر لرائد بتعجب :

- بس إللي اعرفه إنها رقاصة، طيب ازاى بقت رقاصة مش فاهم، سوسيتا بتاعت زمان مكانتش رقاصة

نظر رائد لمن بجواره قائلا بغمزه :

- لا دي بركات شوشو

هنا صدرت ضحكة عالية من الفتاة الجالسة بجوار رائد والتي قالت بخبث :

- طبعا ياروحي ده انا شوشو على سن ورمح

ضحك رائد بشدة يقول بينما يسحب منها السجارة :

- لا جامدة يا شوشو، ولا نقول مدام شريفة.....

***

(الفصل الثاني)

كانت براءة ما تزال تجلس في ڤراندا المنزل تضم قدمها بيديها تدفن وجهها بهم، وكلمات وائل مازالت تترد بأذنها، مازالت تتذكر تلك اللحظات التي مرت منذ قليل..

- مكنش لازم تعرفي، وانا مكنش لازم اقولك

اقتربت منه براءة تصرخ به وتهدده :

- هتقولي الحكاية كلها ولا اروح اسأل زين بنفسي؟

زفر وائل بضيق وشعر باختناق لأنها تهدده ثم بدأ يتحدث :

- القائد زين يبقى قائد وحدة من وحدات القوات الخاصة يعني شرطة .

صُدمت براءة من حديثه هل كانت غبية لدرجة لم تنتبه لما يفعله وأنه لايمكن لشخص عادي أن يفعل ما يفعله هو؟؟ وفي الصباح عندما صرخ وقال

"بوليس" لم يكن يمزح بل كان حقيقة ، لكن ما صدمها أكثر هو باقي حديث وائل :

يوم الاقتحام في القرية بتاعتك لما جيتي وزعقتي فيا، كان زين باشا هو اللي واقف معايا، ولما روحتي بلغتي عن رائد الدميري أصر إن هو اللي يحميكي لغاية ما يجمعوا دلائل ضده وإنتِ تشهدي على رائد، ودي تقريبا كانت أول مهمة للقائد من النوع ده.

نظرت له براءة مازالت لا تستوعب كم الحقائق تلك فقالت ودموعها تهبط لكن كانت تضحك بسخرية :

- مهمة؟؟

نظر وائل أرضا ثم رفع رأسه وقال بتردد :

- بالنسبة للكل آه انتِ مهمة بس.....

بكت براءة اكثر تتذكر حنانه عليها وخوفه كل ذلك كان فقط "مهمة"

أكمل وائل حديثه ينظر لها جيدا :

- بس بالنسبة للقائد ما اعتقدش إنك مجرد مهمة

نظرت له من بين دموعها بأمل تتوسله بعينها حتى يكمل اقترب قائلا بصوت منخفض :

- عارف إني المفروض مقولش كده، بس.. انتِ اول انسان تقريبا بعد والده يكون تلقائي معاه

انتبهت له براءة بكل حواسها فأكمل ببسمة :

- انتِ متعرفيش القائد ، زين باشا لو سمعنا صوت نفسه بس في ممر كله بيجري مرعوب من وشه، ايام التدريب كان هو اللي بياخد أصعب التدريبات هو وكام قائد كدة يتعدوا على الايد عشان باقي القادة تقريبا كان بيكون صعب عليهم يتحكموا فينا وفي جموح الظباط الجداد

صمت ثم اكمل يشرد في تلك الذكريات :

- ما عدا زين باشا كان عارف إن لما هو يتولى تدريبنا محدش هيعرف ينحرف عن الصراط

أكمل شارحا لها بحماس شديد :

- انتِ شوفتي زين باشا ابو بنطلون وتيشرت، بس ما شوفتيش زين باشا اللي لابس الميري، واتمنى متشوفيهوش لأنه بدون مبالغة بيكون آله قتل، حتى اننا بنتجنب نكلمه.

كانت براءة تحدق به غير مصدمه لما تسمعه، نعم هى رأت غضب زين لكن ليس لتلك الدرجة التي يتحدث عنها، أكمل وائل :

- عشان كده بقولك إنك مش مجرد مهمة لزين باشا، أنا مش هبالغ لو قولتلك اني اول مرة اشوف بسمته معاكِ رغم اني خدمت معاه فوق الخمس سنين.

أنهى حديثه ليراقب تأثيره عليها، تنهد مردفا :

- عشان كده اعتبريه رجاء مني متبعديش عن القائد لأنك من الناس القليلة اللي بيخرج زين الإنسان معاها

أنهى حديثه ينهض ثم رمقها طويلا وبعدها رحل بهدوء تاركا إياها تفكر في حديثه.

وها هي منذ تركها تجلس بهذا الشكل منتظرة أن يعود زين ولكن حتى الأن لم يعد.

كانت سوسيتا كعادتها في وسط ظلام دامس حتى شعرت أنها لو خرجت للنور الآن لن تستطيع التعايش معه، فقد آلف قلبها الظلام، للحق هذا ما يستحق، الظلام والظلام فقط، فقلب كقلبها لا يستحق النور أبدا.

بكت بشده تتذكر ما فعلته سابقا بمؤمن تقول :

- اسفة يا مؤمن حقك عليا والله اسفة، يارتني ما كنت سمعت كلامهم ، بس والله لاخد حقك منهم واحد واحد.

صمتت وهى تبكي بعنف ثم قالت بندم وخوف :

- يارب والله ندمت، وتوبت ندمت وتوبت يارب فتقبل توبتي يا رب

سقطت دموعها هاتفة :

- مفيش غير زين هو اللي هياخد بطارك يا مؤمن مننا كلنا وأولهم انا.

الحياة ليست سوى قطار نصعد إليه؛ رغبة في الوصول لنهاية الخط، نمر فيه بمحطات عدة، منها ما لا نعيرها اهتمام ولو حتى بنظرة ، ومنها ما يغرينا لدرجة تجعلنا نترجل من القطار تاركين خلفنا مقعدنا .... نهبط منه وتستهوينا فكرة أنه ربما يمكننا البقاء في هذه المحطة عوضا عن محطتنا المقصودة، لكن ما لا نعمله هو أن هذه المحطة ليست لنا ولن تكون كذلك، لذا وبعد أن ندرك ذلك نعود للقطار مجددا لكن تلك المرة بروح مختلفة بروح عانت ورأت ما لم يكن يجب عليها رؤيته،بروح مثخنة بالجراح، ولا يتوقف الأمر على هذا فقط، بل ربما تجد من أخذ مقعدك في القطار لذا تضطر للوقوف طوال الطريق حتى محطتك.... هنا تشعر كما لو أن الحياة قد اغلقت ضلفها في وجهك لكن مازال قلبك يحمل أملًا في المحطة الاخير.. فهل نصل إليها ونحن مازلنا صامدين؟ أم نملّ الأنتظار فنستسلم في منتصف الطريق؟؟؟

الإجابة تكمن وبكل بساطة في..

قدرتك على التحمل.

عاد زين للمنزل يتثاقل في خطاه خوفا من تلك المواجهة، هي رأت ما لم يسمح لأحد سوى والده أن يراه..... رأت الجزء المظلم منه.

فتح الباب بهدوء فوجد الأنوار مغلقة دخل بكل هدوء مغلقا الباب ثم استدار ذاهبا لغرفته، لكن توقف فجأة يرى جسد متكوم على الاريكة، فتقدم بكل هدوء منه يمد يده مرددا بصوت منخفض :

- براءة؟!!

رفعت براء رأسها بسرعة فهي لم تكن غافية كما ظن بل كانت تنتظره، نهضت لتقف أمامه، بينما هو لا يعلم ماذا يفعل هل يتركها ويهرب سريعا من مواجهتها ام يتحلى بشجاعة وهمية ويواجهها.

اقتربت منه براءة تقول بصوت خافت :

- انت كويس؟

رغم تعجبه من سؤالها إلا أنه هز رأسه بإيجاب مبتلعا ريقه وهو يقول:

- براءة أنا.....

صمت لا يعلم ماذا يقول لتتحدث براءة ببسمة لا روح فيها :

- انت ايه يا سيادة القائد ؟؟

رفع نظره لها سريعًا يقول بدهشة لمعرفتها :

- قائد؟؟

هزت رأسها ثم ضحكت بجمود :

- طب مش تقول يا راجل إنك في مهمة رسمية كنت على الاقل سهلتها عليك ومتصرفتش بغباء

اقترب منها زين بسرعة يحاول التحدث فمنعته :

- لا متقربش ارجوك

لم يهتم زين بتحذيرها اقترب منها متخطيا ذلك الحاجز الوهمي الذي وضعته له :

- طب اسمعيني طيب وبعدين احكمي ارجوكِ بلاش تحكمي بدون ما تعرفي حاجة

نظرت له بدموع هاتفة :

- اعرف ايه يا زين؟؟ انا مجرد مهمة بالنسبة ليك مش اكتر، وانا اللي فكرت انك بتخاف عليا عشان انت بقيت تعتبرني شخص مهم في حياتك خايف تخسره

اقترب زين قائلا بحزن يستوطن عيونه :

- انا فعلا خايف اخسرك ، لا لا مش خايف انا مرعوب اخسرك مرعوب لدرجة اني كنت مقرر اول ما ارجع هنا هبعدك عني واتخلى عن المهمة لحد غيري

نظرت له براءة بفزع لحديثه ذلك لكن لم يدع لها الفرصة لتفكر فأنطلق يمسك وجهها قائلا :

- بس مقدرتش يا براءة والله ما قدرت، انا مش عايز ارجع وحيد تآني، متسبنيش ارجع وحيد تآني ارجوكِ، انا تعبت من الوحدة والوجع ده

أنهى حديثه ودموعه تهبط بشدة فمسحتها براءة بحنان ووجع عليه لتهمس له :

- يعني انت مش عايزني ابعد عنك؟

هز رأسه برفض بينما مازالت دموعه مستمره في الهبوط، مدت يدها وكوبت وجهه قائلة ببسمة من بين دموعها :

- وانا مش هسيبك يا زين حتى لو على موتي

هز زين رأسه برفض لما تقول يرتمي في احضانها قائلا:

- وانا مش هسمح انك تموتي يا براءة هحميكِ بروحي مش هكرر غلطتي زمان.

ضمها اكثر يقول ببسمة عاشقة لم ترها هى :

- كنتِ براءة من سجني ومش بعد ما دوقت طعم الحرية هعيش السجن تآني ،إلا في حالة لو صدري رفض يستقبل نفس زياده وقتها ووقتها بس هقبل بالسجن وهسيبك تمشي.

اهتز قلب براءة من جملته تلك ثم ضمته اكثر وهى تقول :

- وأنا مش هخليك ترجع للسجن تاني يا زين

ابعدته عنها بهدوء مريب تتجه للطاولة بجانب الاريكة حاملة حقيبة بلاستيكية قائلة:

- دي الأدوية اللي انت كنت كاتبها في الروشتة ، البنت اللي في الصيدلية لحقتني قبل ما امشي وعطيتها ليا

نظر زين للحقيبه بيدها بجمود غريب يفكر بكم الأسرار التي علمت براءة بشأنها شعر بيد براءة تمسك يده قائلة ببسمة :

- هنعديها ياباشا، هنعدي كل صعب سوا صح؟

تردد زين ينظر للحقيبة لم يتمنى أن تعلم براءة بشأن مرضه او على الاقل ليس بهذه الطريقة، خرج من شروده على براءة التي ضغطت على كفه اكثر

ضمها زين إليه يقبل رأسها قائلا بهمس :

- صح، هنعدي كل صعب سوا

نظر الحقيبة التي مازالت في يدها :

- هنعدي كل صعب

عادت شريفة للمنزل تصفر بإستمتاع لكن فجأة وجدت من يجذب شعرها بعنف :

- كنتِ فين يا زبالة انتِ؟؟

صرخت شريفة بوجع شديد وهى تقول :

- انت اتجنيت ولا إيه؟ سيب شعري

صرخ فتحي بغضب :

- لا ده انا عقلت مش اتجنيت، انا كنت مجنون لما اتجوزت واحدة.. زيك، بس خلاص انا هعرفك مقامك

صرخت بوجع تحاول إبعاد يده عن شعرها :

- جرا ايه يا عرة الرجالة مفكرني هخاف منك ولا إيه؟

جذب فتحي شعرها بعنف اكثر يصفعها :

- انا هخليكي تخافي مني يا زبالة

أخذ يصفعها بعنف دون أن يرى أحد امامه فقط يرى والدته تقص له عن رؤيتها لزوجته تدس ثياب لها بين ملابس أخيه لكنها صمتت حتى يعود هو.

كانت شريفة تصرخ بشدة بسبب ضربات فتحي، بينما هو كان كالاعمى وهو يضربها فركضت له والدته برعب تصرخ بفزع :

- سيبها يا فتحي سيبها يابني، طلقها وسيبها وربنا يسهلها بعيد عننا، هتودي نفسك في داهية عشان دي

ازدادت ضربات فتحي قائلا بقهر كأنه لم يستمع لوالدته :

- عشت في جحيم بسببك، نظرات الناس كانت بتقتلني وهما عارفين اني متجوز رقاصة، كله بسبب..... زيك انا اللي غلطان اني فكرتك مجبورة على الشغلانة ومغلوبة على أمرك، لكن انتِ أساسا.....

ابعدته والدته بصعوبة تنظر لشريفة باشمئزاز صائحة بعنف :

- غوري امشي من هنا بدل ما يقتلك

نهضت شريفه بصعوبة تمسح دمائها بحقد :

- ماشي يا زبالة انا هوريك شريفة هتعمل ايه فيك، اتفوو عليك وعلى عيشتك النتنة

ثم كادت تخرج مجددا لولا صوته الذي اوقفها قائلا :

- استني

توقفت ترمقه بشر فقال هو بغل شديد وغضب :

- انا ميشرفنيش واحدة زيك تبقى على زمتي، إنتِ طالق وورقتك هتوصلك على الخرابة بتاعتك

أطلقت شريفة زغرودة عالية تهتف بسخرية :

- يا خويا بركة، في ستين داهية

ثم تركتهم ورحلت ضاربة الباب خلفها بعنف شديد

فأنهار فتحي أرضا يبكي على ما فعله بنفسه بينما والدته كانت تنظر له بشفقة داعية الله أن يريح قلبه من وجعه.

وقف وائل أمام غرفة الصغير التي أتخذتها حياة ملجأ منه، ثم زفر بضيق قائلا :

- هدي لنفسي فرصة أخيرة معاكي يا حياة وإن فشلت اوعدك مش هوريكي وشي تآني ابدا

(عام ٢٠١١)

تطورت علاقة مؤمن بسوسيتا وأصبح يذهب معها لكل مكان سواء كان حفلة من الحفلات الماجنة ام سهرة جديدة في إحدى النوادي الليلية، لم يكن يفرق معه أمر المكان طالما أنه معها.

في إحدى الحفلات التي أصبحت معتادة لمؤمن دون علم والديه بذلك، تحت ستار أنه خارج لمقابلة زين، كان مؤمن يجلس وفي أحضانه تجلس سوسيتا، تطورت علاقتهم بسرعة وتخطى فيها مؤمن جميع الحدود التي وضعها لنفسه سابقا.

فجأة وجد سوسيتا تمد يدها له بسجارة رمقها بتقزز مستنكرا :

- انتِ عارفة اني مش بشرب يا سوسيتا

ضحكت سوسيتا بصخب ثم مالت عليه تهمس ببحة مغرية :

- طب ولو قولت عشان خاطري؟ ايه هتكسر بخاطري

تحدث رائد والذي كان قد تقرب من مؤمن بحجة أنه ضربه سابقا ولم يكن يعرفه جيدا، والآن هو صديقه وفي حمايته :

- ما تكسفهاش بقى ياوحش ومد ايدك دي حتى مكلفة نفسها وجيبالك صنف عالي، ولا انت خايف بابا يقفش عليك؟

أعقب كلماته ضحكات عاليه من الجميع على مؤمن، وكعادة الشباب مد مؤمن ليجرب الأمر فقط حتى لا يتهمه احد بالجُبن، لذا وبدون تردد أخذ السجارة من يد سوسيتا واستنشقها بسرعة كبيرة رغبة في محو تلك الصورة السيئة عنه من عقولهم، غير عالما أنه بذلك بدأ يشوه صورته أمام نفسه.

اختنق مؤمن بشدة من الدخان فأخذ يسعل بعنف وقد أحمرّ وجهه فضحك مجد :

- لا الحاجات دي مش محتاجة غشومية، دي عايزة واحدة واحدة عشان تستمتع

ضحكت سوسيتا تأخذ السجارة من مؤمن وهى تنظر له نظرات مشجعة لما فعل بينما هو ابتسم لها وقد بدأ يشعر بالدوران في رأسه.

وككل ليلة انتهى مؤمن من الحفل ثم نهض مغادرا لكن كان يشعر بأن الأرض تميد به لذا كاد يسقط لولا يد رائد التي امسكته وهو يضحك :

- معلش هى عشان اول مرة فتلاقي الدماغ تقيلة شوية، تعالى هوصلك في طريقي

ثم أخذ بيد مؤمن وخرج تاركا الجميع خلفه ينظرون في اثرهم ببسمة شيطانية ماعدا سوسيتا التي كانت ترمق مؤمن بشفقة قليلا، ولكن ماذا تفعل قدره هو الوقوع في تلك الحفرة المليئة بالوحل، وقدرها أن تكون هي من تدفعه للتعمق في تلك الحفرة.

توقف رائد بسيارته أمام منزل مؤمن قائلا ببسمة :

- ده انت طلعت غني، وانا اللي كنت فكرك كحيان

ضحك مؤمن بشدة ليسترسل في الحديث دون وعي :

- آه أصل بابا معاه فلوس كتير اوي، وماما برضو معاها فلوس كتير اوي

ضحك رائد بصخب يتمتم بخبث:

- متقلقش يا حبيبي انا هخفف عنكم شوية من الحمل ده

لم يكن مؤمن بوعية ليستوعب حديث رائد فهبط دون أن يتحدث واتجه لمنزله يتخبط في كل شئ يقابله حتى دخل للمنزل لكن بمجرد دخوله حتى اصطدم بطاولة فسقط أرضا محدثا صوت عالي وشعر بشخص يرفعه، نظر وجد والده يرمقه بصدمة :

- انت شارب يا مؤمن؟

ضحك مؤمن بسذاجة وعدم وعى وهو يقول :

- لا لحية

زفر والده بضيق من رائحة فمه يحمله ويقول بنبرة قلقلة على ابنه :

- انت كنت مع مين بالضبط ومين اللي شربك الهباب ده؟؟

صمت قليلا ثم قال بتخمين :

- زين اللي شربك الحجات دي؟

ضحك مؤمن ثم قال بعدم وعى :

- زين آه زين

دخل والده والقاه على فراشه ينزع له حذائه بينما يفكر في حالة ولده التي بدأت تنحدر نحو الاسفل فقال يضغط على أسنانه بغضب :

- تمام يا مؤمن نام والصبح نتفاهم

(في الوقت الحالي)

استيقظ زين يفرد جسده بوجع شديد فكما العادة لم يستطع النوم بسبب حركات براءة أثناء نومها، اعتدل بجسده ليهبط عن الفراش

تقدم نحو الخارج بأعين شبه مغلقة لكن صدم وهو يرى من بعيد براءة ترتدى مريول المطبخ وتحمل ملعقة قائلة ببسمة :

- أتفضل يا فندم احلى فطار جاهز لأجل عيونك الملونة دي

ابتسم زين باتساع يتقدم نحوها قائلا بحنان وهو يعيد خصلات شعرها للخلف :

- تسلم ايدك تعبتي نفسك

نظرت له براءة تسحب يده للطاولة :

- تعبك راحة متقولش كده، لو متعبتش عشانك اتعب عشان مين يعني، يا زين انا حاسة انك ابني

تأثر زين من حديثها وضمها إليه بحنان شديد :

- ربنا يديمك لقلبي يا....

صمت ينظر للطاولة خلف براءة ثم ابعدها عنه يرمقها بدهشة :

- براءة انتِ كنتِ بتجهزي الاكل على الترابيزة دي؟

ثم اضاف متجها للطاولة قائلا بامتعاض :

- مينفعش كده يابراءة ياريت بعد ما تعملي الاكل تغسلي المواعين اللي عملتيها وانتِ بتجهزيه، ولو مقدرتيش قوليلي انا أعملهم

ثم كاد يحمل الأطباق واضعا اياهم على بعضهم لولا صراخها الذي اوقفه، قائلة بفزع :

- انت بتعمل ايه ده الفطار

نظر لها زين بغباء لثواني ثم نظر للطاولة بعدم استيعاب :

- فطار ايه؟

اتجهت له براءة تشير للاطباق التي يجمعها :

- اللي انت بتشيله ده هو الفطار

تحدث زين ببلاهة يشير للطاولة قائلا :

- المواعين ؟؟

هتفت براءة تأخذ اطباق الطعام منه وتضعها بشكل مرتب على الطاولة:

- إذا سمحت قدر مواهبي شوية

نظر زين للاطباق مجددا يمسح وجهه بسخرية :

- مواهبك من اى زاوية بالضبط، بعدين أنا شايف لحسة جبنة وزتونة ، بعدين ايه حته اللانشون دي؟

امسك قطعة صغيرة من اللانشون قائلا بتهكم :

- ده انتِ لو عايزة تدخلي فار المصيدة كنتِ هتتكسفي تحطيله الحتة دي، وايه ده؟ شريحة طماطم وحتة خيارة، دي البواقي اللي بتفضل منك بعد ما تعملي السلطة يا ماما ، فين الفطار اللي عملتيه؟؟ دي بواقي اكل، بعدين كلهم معلبات أساسا

تحدثت براءة تنظر للطعام بتذمر :

- انت شايف اني معملتش حاجة؟

ثم قالت بغضب شديد غير مبرر :

- طب ودي ايه اتعميت مش شايفها؟؟ ده انا من الصبح خلصت باقة التليفون بتاعك عشان اعرف طريقتها

شعر زين ببوادر زبحة صدرية لكنه حاول التماسك قائلا بحسرة :

- باقتي؟؟ تقدري تفهميني ايه الصعب في الشكشوكة عشان تتفرجي على فيديوهات ليها؟

نظرت براءة للطبق الذي يتحدثون عنه ثم قالت ببسمة غبية :

- شكشوكة ايه؟؟ لا ده اومليت

فتح زين فمه ببسمة غبية ينظر حوله ثم اقترب مرددا :

- بزمتك ودينك يا مؤمنة وكلام هتتسألي عليه ده اومليت؟

حكت براءة انفها بغباء قائلة :

- ايوة والله اومليت بالخضار بس وانا بقلبه انقطع مني مش اكتر

هز زين رأسه بتعب ثم قال بسخرية :

- انقطع؟؟ ده يا حبة عيني عدى عليه أتوبيس نقل عام فرمه... قال وعزيز يقولي اتجوز عشان يكون في البيت ست تعملنا اكل نضيف بدل اكل المحلات، ده لو شاف اللي انا شايفة هيروح فيها.

تحدثت براءة تنظر للطعام بحزن :

- هو وحش للدرجة دي؟

زفر زين يقترب منها ويضمها بحنان :

- لا يا براءة مش وحش خالص ده جميل كفاية انك تعبتي فيه

هزت براءة رأسها باقتناع تقول :

- انت صح هو حلو، انت اللي معندكش ذوق أساسا

نظر لها زين بصدمة وكاد يتحدث لولا صوت الجرس الذي قاطع حديثهم فركضت تقول مشيرة للطعام :

- دي تلاقيها حياة، شوفلنا حاجة ناكلها بقى ولِم المواعين دي

فتحت براءة الباب ببسمة دون الإنتباه للطارق :

- كويس انك..

صمتت تنظر للطارق ثم مدت رأسها من خلف الباب هاتفة :

- زين خلاص متحضرش حاجة لقيت مربى هنا اهي

خرج زين من المطبخ واتجه للباب قائلا بتعجب :

- مين جاب مربى؟

صمت يجد شاب يقف امام باب المنزل يرتدى ثياب البحر ووجد براءة تنظر له ببسمة غبية قائلة له :

- اؤمر يا قمر

اتجه زين صوبهم يجذب براءة للخلف من قبعة ثيابها قائلا :

- استني انتِ دلوقتي ياقمر

ثم نظر للشاب يسد عليه الرؤية قائلا ببرود وجدية مرعبة :

- أتفضل

ابتسم له الشاب بطريقة لزجة :

- يزيد فضلك يا نجم، احنا بس كنا عايزين اى حاجة ندق بيها الخيم برة

همست براءة من خلف زين :

- نجم؟؟ يابني الكلمة دي انقرضت على طول من بعد بنسوار يا هانم... وسعيدة

تجاهلها زين ثم نظر حيث يشير الشاب وجد مجموعة من الشباب والبنات يقفون في الخارج وبحانبهم عُدة التخييم، فقال بنظرات غير ودودة أبدا :

- مفيش عندنا حاجة تقدر تدق بيها للأسف

ثم أغلق الباب في وجهه قائلا بوقاحة:

- نورتنا

فتحت براءة عينها بصدمة من وقاحته تلك لكن تحولت ملامحها للرعب تراه يتجه لها ينوي شرا، فصرخت راكضة بعيدا عنه ولكن سقطت بسبب الأرضية ونهضت سريعا :

- فيه إيه طيب متعصب ليه؟؟

لم يجيبها زين وركض للغرفة أحضر سريعا مضرب الذباب وأخذ يبحث عنها وهو ينظر حوله قائلا:

- اطلعي يا براءة واتقي شري لأحسن لو انا اللي لقيتك هزود العقاب

كانت براءة تختبئ أسفل الطاولة التي يقف امامها تكتم فمها برعب وتنظر حولها بحثا عن مخرج وأثناء استدارة وجهها وجدت وجهه بجانبها فصرخت برعب تزحف على ركبتها بسرعة بعيدا عنه لكن أثناء

هروبها انزلقت في آثار الطعام التي سببتها هي أثناء إعداد الطعام، فاتجه هو لها وابتسم بخبث وشر كبير ناويا تأديبها ولكن انزلق هو أيضا وسقط عليها فصرخت بألم قائلة :

- آه يا عمود يا فقري، وعمال تقولي فقراتي اتحركت واتنيلت ، ادي ام فقراتي نزلت لصباع رجلي الصغير

لم يتمكن زين من كبت ضحكاته، فأنطلق يضحك عليها وعلى حديثها دون توقف، بينما هى تنظر له بحنان وبسمة ثم قالت بمشاكسة :

- شايف انا ذوق ازاى ومجرتش لما شوفتك بتقع واخدتك بالحضن، مش زى واحد نتن شافني بقع قام اتحرك بسرعة

ازدادت ضحكات زين متذكرا ذلك الموقف في عمارتها القديمة ليسقط بجانبها ماسكا بطنه :

- ده انتِ قلبك أسود آوي

نظرت له ببسمة وقالت دون وعى :

- وانت ضحكتك حلوة اوي

ابتسم زين ثم اقترب لها وقال بحنان يقبل جبينها :

- اجهزي هاخدك نشتري شوية حجات كدة و نتغدى برة سوا

قالت براءة تنظر له بتعجب :

- هو أنت جبت فلوس منين؟

ضحك زين وهو ينهض ويجذبها لتقف وقال يتجه للداخل :

- استلفت فلوس من وائل وبعدين كلمت بابا امبارح يبعتلي فلوس على فودافون كاش واستلمتها قبل ما ارجع

هزت رأسها بتفهم ثم قالت تنظر لثيابها :

- طب عايزة اشتري لبس تآني بدل ما انا عفنت في اللبس ده

دخل للغرفة قائلا بصوت عالي ليصل لها :

_اجهزي يا براءة.....

استيقظ وائل على صوت ضوضاء فخرج من غرفته منزعجا يبحث عن حياة في الارجاء وجدها تقف أمام النافذة تنظر للخارج باهتمام شديد، اتجه إليها يحاول معرفة إلى ماذا تطلع في الخارج وبمجرد اقترابه، شعرت به حياة فاستدارت سريعا قائلة وهى تشير للخارج :

- تقريبا فيه ناس جاية تعمل كامب هنا

نظر وائل من النافذة بتعجب فلم يسبق أن أتى أحد لتلك المنطقة النائية

ترك النافذة واتجه لخارج المنزل ينظر لمجموعة الشباب تلك يفكر في أمرهم بقلق فوجودهم هنا يمكن أن يمثل خطرا.

شعر بأحد خلفه التفت وجد حياة تقف خلفه دون أن تنتبه أنها بثياب المنزل، نظر لها وائل بشر يشير لها أن تدخل، لكن قاطع تلك النظرات اقتراب فتاة من منزلهم تقول ببسمة لم تعجب حياة أبدا :

- لو سمحت يا أستاذ ممكن تساعدنا لو مش هنزعجك

نظر لها وائل بتعجب ثم قال متسائلا :

- اساعدكم في إيه؟؟

ابتسمت له الفتاة وقالت مشيرة لمجموعتها :

- مش هنعطلك احنا بس عايزين حد يساعدنا في موضوع الخيم عشان مش عارفين نعمل ايه

كاد وائل يجيب عليها لولا شعوره بدفع حياة له وهى تقول بشراسة لم يراها سابقا :

- معلش يا قطة الاستاذ يا حرام مش هيعرف يساعدكم أصل عنده بعيد عنك تعب في المفاصل انتِ عارفة السن وحكمه

نظرت لها الفتاة بتعجب ثم قالت مشيرة لوائل ببسمة غبية :

- سن ايه؟ الاستاذ أساسا شكله صغير في السن

تحدثت حياة و تضرب كف بكف في حركة شعبية :

- يا حبيبتي ده كله عمليات وحقن ده الاستاذ كاسر الأربعين وعلى مشارف الخمسين

ربعت الفتاة ذراعيها وهى تنظر لحياة ببسمة متهكمة :

- وانتِ بقى تبقي بنته؟

قالت حياة باسف مصطنع :

- اهو شوف غريبة ومتعرفش عننا حاجة وشافتك كبير عليا، يلا الله يسامحه ابويا اللي جوزني ليه عشان الفلوس

كادت الفتاة تتحدث فمدت حياة يدها وامسكت بيد زوجها :

- معلش بقى يا ضنايا هستأذنك عشان معاد دوا الروماتيزم بتاع عمو

ثم نظرت لوائل الذي يكتم ضحكته بصعوبة قائلة :

- يلا يا عمو عشان ادهنلك المرهم بتاع الروماتيزم

عن اذنك يا شابة

ثم دخلت تسحب زوجها خلفها وتبتسم ببرود للفتاة وخلفها وائل يضحك بشدة عليها وقد بدأ ينبثق شعاع أمل داخله أنها وربما تكن له بعض المشاعر

حتى ولو القليل منها..

كان زين يستقل السيارة التي قام بتأجيرها البارحة أثناء عودته،و براءة تجلس خلف المقود بعد أن أصرت عليه أن يعلمها القيادة بحجة إن هربوا لا تسبب في مقتله المرة القادمة.

تحدث زين بنفاذ صبر يشير على الطريق :

- يابنتي اكسري شمال يابنتي، انتِ يا حولة بقولك شمال

قالت براءة بنبرة جادة وواثقة :

- انا مش بمشي شمال لأننا ناس يمين بالصلاة على النبي

زفر زين بتذمر يقول ناظرا أمامه :

- طب ادخلي يمين يا ختي ادخلي اى حتة بس نطلع من ام الطريق اللي بقالنا فيه ساعتين ده

ضربت براءة على المقود تصرخ به بعصبية :

- بقولك ايه هتقعد جنبي يبقى تسكت، مش ناقصة توتر انا مش عارفة اركز منك

نظر لها زين يبتسم بتهكم :

- حقك عليا انا عارف اني موترك خلاص انا هسكت خالص وهحط جذمة في بقي، ممكن بقى نتحرك من هنا لو سمحتي ابوس ايدك

زفرت براءة بضيق تمسح وجهها :

- اهدى شوية ، قولتلك في العجلة الندامة، ادينا ماشيين براحتنا

اخترقت اسماعها أصوات زمارات السيارات والضوضاء خلفها فزفرت وهى تخرج رأسها من النافذة صارخة :

- جرا ايه منك ليه ما تهدى بيب بيب بيب ماشيين في زفة ولا إيه؟ بعدين منا ماشية اهو اطير عشان سيادتك تستريح؟

أخرج زين رأسه من السيارة صائحا :

- يا جدعان ابوس ايدكم اهدوا عشان إللي قادرة على التحدى كده هتتوتر.

ثم ادخل رأسه قائلا بغضب يصرخ :

- اتفضلي يا ختي ادينا كلنا سكتنا ممكن تتحركي بسرعة شوية لو مش هنزعج روح السلحفاة اللي جواكي

زفرت براءة بضيق تمد يدها وتدير السيارة :

- توكلنا على الله

لكن بدل من التحرك للأمام وجدت السيارة تعود للخلف وفي ثواني كان صوت احد الرجال يصدح بالصراخ والسباب لمن يقود السيارة والذي لم يكن سوى براءة

نظرت براءة لزين تبتسم بغباء :

- عندك معارف في المرور؟؟

(الفصل الثالث)

كانت حياة تحمل الصغير وتجلس به بكل هدوء في أحد أركان المنزل و وائل يجلس بعيدا عنهم يراقبهم ببسمة حنونة يدعو الله ألا يفرقهم شيء.. فجأة سمع الجميع أصوات صراخ تأتي من الخارج

خرج كلا من حياة و وائل بسرعة لسماعهم صوت عالي ، فوجدوا بعض الشباب متجمعين أمام البحر يصرخون برعب ويبدو أن هناك أحد يغرق، بلا تردد خلع وائل ثيابه العلوية وركض سريعا جهة التجمع وابعدهم قافزا في الماء، سبح جهة الشخص الذي يغرق فقد كان شاب في بداية العشرينات تقريبا.

كانت حياة تنظر بفضول لما يفعل وائل ولم تنتبه لاقترابها من الجمع كل ما كان يشغل انتباهها هو وائل لكن فجأة شعرت بالتصاق أحد بها، نظرت بجانبها فوجدت أن أحد الشباب يقترب منها بطريقة قذرة رمقته بازدراء ، ثم ابتعدت تعود للخلف وقد أعادت نظرته ذكريات سوداء كانت تظن أنها دفنتها بعيدا، ذكريات مازالت تبحث عن مخرج في عقلها وفرصة لتطفو على السطح، ذكرتها نظرته بنظرات الرجال الذي اختطفوهم، كانوا ينظرون لهم وكأنهم ذئاب ترمق قطع لحم بعد أيام عجاف.

خرجت من شرودها على يد وائل الذي ضمها إليه وذهب بها بعيدا ، دخل وائل مع زوجته للمنزل تحت نظرات ذلك الشاب الذي كان يرمق وائل بغضب .

بمجرد دخولهم تركها وائل بعدم اهتمام ودخل لغرفته مغلقا الباب بعنف، لكنها لم تفكر في الأمر ولم تهتم كثيرا بل انذوت في أحد أركان المنزل تتذكر تلك الأيام التي كانت وستظل حاجز أمام العيش بشكل طبيعي.

(عام ٢٠١١)

بدأ زين يعود لحياته القديمة قبل معرفة رائد وسونيا، حياته التي عاشها فترة طويلة بعد موت والدته، حياة الرتابة والروتين.

في أحد الايام كان يجلس كعادته في المطعم المفضل له يتناول طعامه وحده كالمعتاد لكن أثناء تناوله للطعام رأى شاب يشبه مؤمن كثيرا كان يجلس مع مجموعة شباب تبدو عليهم السمعة السيئة من حركاتهم ووقاحتهم مع من حولهم، تجاهل زين الأمر مستبعدا أن يكون ذلك الذي أمامه هو مؤمن، فمن أمامه يرتدي ثياب غريبة، ولا يرتدي نظارة مؤمن المعروفة كما أن ملامحه اختفت منها البراءة كليا، وقد كانت الهالات السوداء أسفل عينه كثيفة كأنه لا ينام سوى بضع دقائق يوميا، عاد زين لطعامه غير مهتما بشئ، لكن توقفت يده في منتصف الطريق يستمع لاسم مؤمن يصدر من تلك الطاولة التي بجواره.

كان مؤمن يجلس مع سوسيتا وبعض الشباب ممن اضحوا مؤخرا أصدقاءه، زفر مؤمن يقول بحنق :

- ابويا يا عم هو اللي مخنقها عليا، كل ما اجي خارج يقول رايح فين ومع مين

ضحكت سوسيتا تميل عليه بفجاجة قائلة :

- وطبعا كالعادة بتقوله رايح مع زين

ابتسم مؤمن بسخرية يرفع كأس العصير الذي أمامه قائلا :

- أمال اقوله طالع من شلة صايعة يعني؟

ضحك الجميع عليه، ثواني وكان رائد ينضم لهم قائلا بصوت عالي نسبيا:

- مؤمن عم الناس

انتبه زين على اسم مؤمن فاستدار للطاولة وعندما رأى رائد تأكد أن هذا هو مؤمن نفسه ، لكن ما الذي حدث له، وما الذي غيره هكذا، ومع من يجلس؟

مع رائد ورفاقه؟ يبدو أن مؤمن قد جُنّ كليا ليفعل ذلك عليه أن يتحدث معه لربما ينقذ ما يمكن انقاذه، رغم شكه في ذلك فمن أمامه ليس مؤمن الشاب البرئ النقى، بل نسخة مشوهة منه.

أنهى مؤمن طعامه وخرج مع الجميع وعند الباب تفرق الجميع على وعد بالتجمع مساءا كما العادة ذهب مؤمن مع سوسيتا باتجاه سيارته

لكن أثناء ذلك سمع صوتا كان قد أوشك على نسيانه، صوتا عاهد نفسه على محوه من رأسه، التفت مؤمن جهة الصوت وجد زين يستند على سيارته بجسد متحفز، مازال كما هو صامد وشامخ.

نظر مؤمن لسوسيتا التي كانت تتحدث في الهاتف :

- حبيبتي روحي على العربية، هعمل حاجة واحصلك

قبلته سوسيتا ورحلت تكمل حديثها بينما اتجه مؤمن بخطوات متمهلة لزين يفكر بما يريده بعد غياب شهور طويلة، توقف امامه ببرود شديد يربع يده أمام صدره :

- مين؟ زين باشا الهلالي بيه؟ بنفسك ياراجل؟

علم زين أنه يسخر منه وهو يضع له عذره فأختفاؤه كان بالتأكيد صدمة له.

تحدث زين يحدق بمؤمن او شبح مؤمن إن صح القول، ثم قال بهدوء وجدية :

- ممكن نتكلم سوا

فك مؤمن يده ينظر له بسخرية من أعلى لاسفل :

- وياترى أقدر أعرف السبب؟

نظر زين له بتعجب من لهجته ثم تنفس بهدوء :

- أظن إنك عارف كويس اوي انا عايزك ليه

زفر مؤمن بضيق يهتف به :

- آه لو قصدك بقى نصايح ومحاضرات وبلا بلا بلا، يبقى خليها لنفسك

ثم كاد يذهب فامسكه زين بسرعة :

- مؤمن إنت جرالك ايه؟ انت مش شايف نفسك بقيت عامل ازاى؟؟

جذب مؤمن يده بحده قائلا:

- عامل ازاى مش فاهم؟ منا زى الفل

ثم صمت قليلا ليقول ببسمة ساخرة :

- إيه عايزني افضل مؤمن الأهبل الضعيف طول عمري؟؟

صاح زين بعد تصديق لحديثه:

- مؤمن الاهبل الضعيف؟ مؤمن عمره ما كان اهبل ولا ضعيف أبدا،مؤمن كان طيب ونقي، ايه اللي عملته في نفسك ده يا مؤمن؟ بعدين ملقتش غير رائد وشلته عشان تصاحبهم؟

رفع مؤمن أصبعه في وجهه زين صائحا بتحذير :

- لا عندك كله الا صحابي على الاقل هما فضلوا معايا، ومسابونيش أبدا.

نظر له زين بحزن، هو محق لما يقوله لكن ماذا يفعل هذا شئ خارج عن ارادته، قال بهدوء وحزن عليه :

- يا مؤمن صدقني الطريق ده آخرته وحشه، مش بقولك متتغيرش، لا اتغير بس للأحسن مش للأسوء

زفر مؤمن بضيق ثم هتف يستعد للرحيل :

- خلصت كلامك؟ لاني مش حابب اسمع حاجة تانية الصراحة

كاد زين يتحدث مجددا كمحاولة ضعيفة منه لكن منعه مؤمن يصيح بنزق :

- انا اتأخرت فاعذرني يا صاحبي

ثم رحل تاركا زين يتجرع كاسات الندم لما دفع صديقه إليه.

صعد مؤمن لسيارته يشعر بغليان في دماءه وشعلة تمرده تزداد حدة، ولم يكن يعلم أن أول من ستحرق هذه الشعلة، سيكون هو.

(في الوقت الحالي)

نظر زين بشر لبراءة يتوعد لها، لكن قاطع نظرته تلك زيادة صراخ ذلك الرجل والذي يبدو أن براءة قد صدمت سيارته.

هبط زين ينظر خلفه فوجد رجل عملاق يتجه إليهم يصيح بصوت جهوري:

- ولما انتم مش بتعرفوا تسوقوا بتقرفوا الناس معاكم ليه؟

نظر لجهة المقعد المواجهه للمقود قائلا بحدة وعصبية :

- اطلعلي وانا بكلمك

تنفست براءة بعمق تفتح الباب وتهبط، فتبدلت ملامح الرجل من الحدة للسخرية :

- ست؟؟ ماهو اكيد السواقة الكلابي دي مش هتطلع من راجل

شوحت براءة بيدها قائلة باعتراض وتحدي :

- لا ده عافية ذوق طول منا صاحبة حقوق بقى، ده انا حافظة الاغنية كلها فاحذر مني

نظر لها زين والرجل بغباء فاكملت صائحة:

- لا اصحى كده، ده انا اجيب ريهام سعيد هنا تقطعك

صرخ بها الرجل بغضب شديد قائلا يتقدم منها مما جعلها تختبئ خلف زين :

- تقطع مين ياست انتِ؟

صرخت براءة وهي تحتمي بزين :

- تقطع الذكوريين المتعصبين امثالك

انحنى زين في وقفته قليلا يهمس لها :

- التانية رضوى الشربيني، إنما ريهام سعيد دي اللي هتيجي ان شاء الله تسألني وتقولي قتلتها ليه

نظرت له براء بصدمة وكأنها اكتشفت غبائها :

- والله العظيم؟؟

اقترب الرجل منها يصرخ :

- ده انا هفضحك، كسرتي ليا الفانوس

صاحت براءة تتمسك اكثر بزين قائلة :

- وانت بتزعق كده ليه، يكونش كسرت ليك فانوس علاء الدين ولا فانوس رمضان

كاد الرجل يقترب اكثر فأخفت براءة وجهها في ظهر زين برعب، بينما منع زين الرجل من التقدم :

- أظن كدة كفاية انا ساكت عشان هي فعلا غلطت ، بس خلاص خلصنا

تحدثت براءة من خلفه بسخرية شديد :

- يا دكري، تو أما افتكرت يا بعلي؟

نظر لها بشر لتصمت ثم أعاد نظر للرجل قائلا :

- قولي الفانوس مكلف كام؟

تحدث الرجل ينظر لمصباح السيارة الأمامي قائلا بامتعاض :

- ١٢٠ جنيه

قالت براءة بهمس وصل لزين واضحا :

- جاك ١٢٠ عفريت يركبوك يا بعيد

اخرج زين المبلغ الذي طلبه ذلك الرجل واعطاه اياه، رمق الرجل براءة للمرة الأخيرة بضيق ثم رحل.

خرجت براءة من خلف زين تتحدث بتأثر قائلة :

يا أخي الناس بقت وحشة اوي، ربنا ينجينا منهم يارب

ثم اتجهت لمقعد السائق واستقلت السيارة لتشير له قائلة :

- ارقب (أركب)

اتجه زين بغيظ شديد لمقعد السائق وفتح الباب وجذبها للخارج كما الجرذ ثم رمقها باشمئزاز وصعد للمقعد بضيق :

- اركبي يابت

نظرت له بتذمر ثم تخصرت قائلة :

- مش اتفقنا أنه انا اللي هـ.

لم تكمل كلامها فوجدته يشغل السيارة استعدادًا للذهاب فركضت سريعا وصعدت بجانبه تقول :

- يااه عليك ده انا بهزر، يلا بقى خدنا على مطعم حلو كده عشان ناكل

انطلق زين بالسيارة يكتم ضحكته عليها بينما هى كانت تتمتم بضيق عليه.

كانت سوسيتا ما تزال تجلس في تلك الغرفة وهي تخشى إخراج الهاتف الذي تخبئه فبعد معرفتها بوجود رائد هنا أصبح من الخطر إخراجه لئلا يكتشفه أحد.

نظرت حولها تحاول البحث عن طريقة للخروج فقط تود الخروج من هنا حتى تنهي ما بدأته قديما، ووقتها فقط ستشعر أنها تحررت.

خرجت منار من شقتها لتلقي القمامة وجدت أحد الرجال يقف أمام شقة سوسيتا، زفرت بضيق وهى تهتف :

- مش هنا

استدار لها الرجل وهو يناظرها بتعجب فقالت ترمقه بإشمئزاز :

- الآنسة سوسيتا مش موجودة، وياريت تخف رجلك من العمارة عشان الناس بقت تتقرف

تحدث الرجل متقدما منها قائلا بتعجب لاسلوبها ولهجتها :

- عفوا هو حضرتك بتكلميني كده ليه؟ ويعني ايه الناس بقت تقرف هو أنا ريحتي وحشة آوي كده؟

ضحكت منار بسخرية موضحة حديثها :

- لا بقت تقرف من اللي بيحصل قدامها

ربع الرجل يده أمام صدره :

- وايه بقى اللي بيحصل قدامهم؟؟

صدمت منار من وقاحته ثم التفتت للمغادرة :

- والله إنتم ادرى باللي بيحصل

اوقفها الرجل باصرار قائلا :

- لحظة يا مدام مخلصناش كلامنا، مينفعش ترمي كلام زى اللي قولتيه كده وتمشي عادي، ارجو توضحي كلامك

زفرت منار بنفاذ صبر وصاحت :

- يعني بالبلدي كده ان اللي انت وهى بتعملوه ده ميرضيش ربنا ومحدش يقبل بيه

صدم الرجل من حديثها هذا فقال بعدم استيعاب :

- اللي احنا بنعمله؟؟ وايه بقى اللي احنا بنعمله؟؟

كادت منار تجيب فقاطعها هو صائحا :

- اقولك انا اللي احنا بنعمله، الست اللي حضرتك واقفة ترمي تهم عليها دي، تبقى صاحبة الدار للاعمال الخيرية اللي انا بشتغل فيه وكل اسبوع تقريبا كنت باجي عشان اخد منها فلوس للناس هناك

صدمت منار من حديثه لكنه لم يصمت بل اكمل قائلا:

- انا مش عارف ايه اللي أوحى ليكِ الفكرة دي بس اتمنى تعرفي الأستاذة سامية كويس قبل ما تتكلمي عليها

رددت منار الاسم بينها وبين نفسها ومازالت لم تستوعب الأمر بعد، رفعت نظرها للتحدث فوجدت ذلك الرجل قد رحل بخطوات تظهر غضبه.

ترجمت منار أفكارها قائلة :

- لما هي مش بتعمل حاجة وبتاعة خير زي ما بيقول ، يبقى ليه بتتصرف قدامنا كدة او بتسكت على كلامنا؟

دخل عزيز لشركته بعدما عاد منذ ساعات من القرية، ورغم ارهاقه إلا أنه فضل المجئ لمراجعة ما حدث أثناء غيابه، وبمجرد دخوله لمكتبه حتى نهضت السكرتيرة الخاصة به تقول ببسمة عملية :

- باشمهندس عزيز في شخص مستني حضرتك جوا

رمقها عزيز بدهشة قليلا فمن يمكن أن يأتي إليه اليوم خاصا أنه أخبر السكرتيرة بأنه عاد للقاهرة ولكن لم يخبرها بقدومه للشركة، ابعد عزيز افكار بعيدا ثم فتح مكتبه وتقدم للداخل فوجد رجل في مثل عمره تقريبا او اكبر بقليل يجلس في انتظاره، فتقدم جهته قائلا برسمية :

- اهلا وسهلا

نهض ذلك الرجل يبتسم بسمة جادة وهو يمد يده لعزيز :

- اهلا يا عزيز بيه، بعتذر لو كنت جيت بدون ميعاد

ابتسم عزيز بعملية ثم جلس خلف مكتبه قائلا :

- لا أبدا ولا يهمك

صمت قليلا وبعدها بادر :

- اقدر اعرف مين حضرتك الأول

ابتسم له الرجل معرفا عن نفسه:

- انا القائد يسري ابقى قائد زين في الوحدة

ابتسم عزيز مرحبا :

- اهلا بيك يا فندم بعتذر طبعا لاني معرفتش حضرتك

هز يسري رأسه بلا شئ ثم انحنى قليلا للأمام قائلا بجدية كبيرة :

- ولا يهمك انا هنا في موضوع مهم وهمشي فورا

هز عزيز رأسه بتساؤل فوجد يسري يخرج له بطاقة هويته :

- دي البطاقة عشان تطمن آكتر، انا كنت بكلم زين قبل فترة ومرة واحدة الاتصال انقطع من غير ما اعرف فين مكانه عشان ناخد احتياطنا، بس إللي فهمته أثناء المكالمة انه انت تعرف مكانه، صحيح الكلام ده؟

هز عزيز رأسه بجديه وهو يعطي له بطاقته قائلا :

- آيوه فعلا اعرف مكانة كويس وهو حاليا موجود في قرية ساحلية اسمها.....

هز يسري رأسه ببسمة ثم قال بجدية اكبر :

- طب حضرتك تعرف هو فين بالضبط

هز عزيز رأسه برفض يقول بعدم معرفة :

- للأسف معرفش، بس إللي اعرفه انه في بيت واحد من جنوده قالي انه قابله أثناء الهرب اخر مرة

صمت يسري قليلا يفكر شاردا في الأمر فرائد بدأ بالتحرك وعليه تأمين زين جيدا، نهض وابتسم بهدوء شديد يصافح عزيز قائلا :

- بشكرك جدا يا باشمهندس وان شاء الله عن قريب يرجع زين بخير ليك

ابتسم له عزيز قائلا :

- يارب يا فندم، أتفضل اطلبلك اى مشروب

هز يسري رأسه برفض قائلا :

- لا اعذرني انا مضطر امشي انا بس كنت محتاج اعرف المكان عشان اوفرله حماية قريب لو استدعى الأمر

ابتسم له عزيز ثم قال باحترام :

- ربنا يعينكم يارب

أنهى يسري الحديث ثم اتجه لباب المكتب خارجا منه بكل هيبة يفكر في أمر تغطية زين، بينما في الداخل عاد عزيز للعمل قبل أن يعود للمنزل ويرتاح.

استيقظت حياة على صوت وائل الذي وجدها تغفو مكانها على تلك الاريكة، فنهضت مفزوعة تنظر حولها قائلة :

- إيه ده انا نمت هنا؟

جلس وائل بجانبها يهز رأسه قائلا :

- شكلك كان تعبان فسبتك تنامي الأول قبل ما نتكلم

عقدت حياة حاجبيها بتعجب قائلة:

- نتكلم في إيه؟

نظر وائل عينها جيدا يردد بغموض :

- اللي حصل من ساعات

لوهلة لم تفهم حياة قصده ولا إلى ما يلمح لكن فجأة اقتحم رأسها ذكرى ودت لو تقتلعها نهائيا، ولكنها اخفت بمهارة تلك المشاعر التي هاجمتها أسفل قناع السخرية قائلة :

- بجد؟ وياترى هنتكلم في إيه بقى في دورك البطولي وإنت بتجرني قدامهم كلهم؟

تحدثت وائل بتشنج وهو يتعجب حديثها ذلك :

- إنتِ بتكلميني كده ليه؟

صاحت حياة دون وعى :

- لما حضرتك تسيب راجل يلزق في مراتك وتيجي تشدها قدامه وبعدين تحاسبها هى بدون حتى اى ردة فعل تدل على رجولتك يبقى اسمه ايه يا حضرة الظابط

فقد وائل اعصابة كليا ولم تساعده نظراتها فلم يشعر بنفسه سوى وهو يصفعها بعنف صارخا :

- اخرسي، انا راجل غصب عن عينك إنتِ فاهمة؟

نظرت له حياة بسخرية لاذعة وهى تصرخ به قائلة:

- آه فعلا منا شوفت رجولتك دي بس على البنات فقط ، الأول رجاء ودلوقتي انا

انفلتت أعصاب وائل كليا، جذبها بعنف يهزها بقوة صائحا :

- إنتِ ايه يا شيخة، كل ما اقول اخيرا بدأت تلين تقومي مقفله الدنيا في وشي، إنتِ مش حاسة بمقدار الجهد النفسي اللي ببذله عشان مأذكيش، بس كل مرة بغبائك بتجبريني اعمل كده

لم تجب عليه فالقاها بعنف هادرا :

- رجولتي اللي حضرتك شايفاها على البنات بس، هى اللي ساعدت صاحبتك يا أستاذة

نظرت له بعدم فهم فأكمل وقد فاض به الكيل ولم يستطع الكتمان اكثر:

- اول ما وصلتوا كان تم فحصكم عشان يشوفوا اذا كنتم مناسبين للشغل الزبالة اللي هيبعتوكم ليه ولا لا واللي مش بينفع للشغل بياخدوه أعضاء ويفضوا جسمه خالص ، وللأسف رجاء طلع عندها القلب ومش هتفيدهم في حاجة عشان كده قرروا يبيعوها أعضاء بس انا حاولت انقذها اقسملك بالله ما كان قصدي سوء

ضحكت حياة بسخرية قائلة :

- وحضرتك عملت ايه معاها؟ ما هو زيك زيهم

صرخ بها بهياج وغضب وصل لذروته :

- لا مش زيي زيهم ، انا كتبت عليها اى نعم عرفي بس كتبت عليها ، ويشهد ربنا اني معاملتهاش بالوحشية اللي كانت ممكن تتعامل بيها لو اتباعت، وسبتها تعيش وهما كانوا هيقتلوها بابشع الطرق ، هى ماتت في الاخر بس مش بسببي انا، يشهد ربنا اني كان أول حاجة هعملها اول ما تخرج اني هتجوزها على سنة الله ورسوله، بس الموت سبقني، انا مكنتش هلمسها أساسا بس هما شكوا فيا وكانوا هيخلصوا علينا سوا

صمت يتنفس بعنف لما قصه منذ قليل فلم يسبق وأخبر أحد بهذا الأمر بينما كانت تنظر له بصدمة فأكمل حديثه بخيبة أمل :

- اما الراجل اللي كان واقف جانبك وبتقولي اني معرفتش أظهر رجولتي غير عليكِ، فلو كنتِ سيادتك مركزة كنتِ أخدتي بالك

اني ضربته وبعدين شديتك للبيت.... بعدين ادخل انصدم اني مش راجل وجاى استرجل عليكِ.

أنهى حديثه ثم نهض قائلا بتعب مما يعانيه :

- خلاص يا حياة تعبت من المعافرة في أمر مش ليا من الأول، انا غلطت يوم ما تجوزتك غصب عنك بس اوعدك اول ما هنرجع هصلح الغلط ده واطلقك؛ لأني مش مستعد اعيش مع وحده هفضل في نظرها مش راجل.

بمجرد خروج اخر كلماته تركها وخرج من المنزل أغلق الباب خلفه بحدة مما جعل جسدها ينتفض في موضعه وهى مازالت محدقه في المكان الذي كان يقف به منذ قليل لا تصدق ما حدث لها، واخيرا استوعبت أنها جعلته يصل لحافة صبره وقريبا ستحصل على حريتها كما تظن.

هبطت دموعها وهى تحاول أن تبتسم :

- افرحي يا حياة اللي إنتِ استنتيه هيتحقق اخيرا

ثم علت شهقاتها وهى تضرب صدرها قائلة :

- بس وانتِ مش عايزاه

توقف زين بالسيارة أمام مول كبير ، نظرت له براءة ببلاهة قائلة:

- فيه إيه وقفت ليه هنا؟

نظر لها زين ببسمة ثم هبط :

- هنشتري لبس جديد بدل ما احنا هنعفن باللبس ده

زمت براءة شفتيها ثم قالت بتهكم :

- يا عم نروح ناكل الأول وبعدين يبقى نجيب لبس، انا جعانة

انهت حديثها بمجرد أن لمحت محل آيس كريم يقبع أمامها لتترك زين سريعا وتذهب لتشتري البعض، انتبه زين لاختفائها من جانبه فأخذ يبحث عنها حتى لمحها في محل آيس كريم لذا توجه صوب المحل لينداديها لكن توقف حينما وجد بائع الايس كريم يقوم بحركات غبية_ بالنسبة له_ حيث كان يحمل قرن المثلجات على عصا ويلاعب بها زوجته الغبية التي كانت تصفق كالاطفال سعيدة بما يفعل .

مسح زين وجهه بملل من تصرفات تلك الحمقاء ليتجه إليهم فيسمعها تقول :

- شغل اغنية والله شكلي حبيتك واعمل بقى زي الراجل التركي

ضحك بائع المثلجات ثم قام بتشغيل الأغنية التي طلبتها براءة بينما هي وكأنها كانت تعيش أحد أحلامها_وهذا ما يحدث بالفعل _ تنظر بانبهار لبائع المثلجات الذي كلما حاولت أخذ قطعة مثلجات منه يسحب العصا سريعا لتضحك هي.... إلى هنا وكفى لم يتحمل زين

المزيد لذا مدّ يده وامسك عصا المثلجات التي يتلاعب بها الرجل ورمقه بملامح جامدة نازعا قرن المثلجات من العصا تحت نظرات التعجب من الرجل والاستنكار من زوجته، ترك بعض الأموال ليسحب تلك الغبية بجانبه ويرحل.... تذمرت براءة من فعلته :

- ايه اللي عملته ده ياقفيل؟؟ انت عارف انك بوظت من شوية واحد من أحلامي؟

لوى زين فمه ساخرا ومازال يحترق مما شاهده منذ قليل :

- أحلامك واحد ماسك عصايا وفيها آيس كريم وبيحاورك بيها؟؟؟ حاضر نخلص بس من اللي احنا فيه وهقلبلك البيت محل آيس كريم وهلعبك انت و عزيز كل يوم، ودلوقتي ممكن نجيب لبس ونخلص؟؟

امسك زين يدها وسحبها للخارج تحت حنقها الشديد ثم دخلوا لمحل كبير للملابس النسائية في المول ، فنظرت براءة بفضول الأنثى حولها تبحث عن شئ يجذب انتباها.

لم تعلم براءة أنها شردت بعيدا عن زين إلا عندما سمعت صوته يناديها، فنظرت بتعجب جوارها ولم تجده لكن وجدته يقف بعيدا مع فتاة ما يبدو من ثيابها أنها عاملة في المحل، ذهبت لهم ووقفت بجواره تتمسك به جيدا وكأنه سيخطف منها فأبتسم لها وأشار على السيدة :

- اتفضلي مع الآنسة انا فهمتها هتجبلك ايه

نظرت له براءة بشك فأبتسم هو ودفعها :

- الدور التاني خاص بالرجالي هروح اشوف لبس ليا تكوني خلصتي

ابتسمت براءة لفكرة ابتعاده عن هذا المكان الملغم بالنساء وقالت تدفعه خارجا :

- ايوة شاطر روح يلا شوف لبس ليك

ناظرها زين بتعجب ولكنه صعد للدور الثاني تاركا إياها مع الفتاة، فنظرت لها براءة قائلة ببسمة :

- اتفضلي وريني الاستاذ وصاكي على ايه

أشارت الفتاة بهدوء شديد واحترام لاحد أقسام المحل قائلة:

- اكيد يا فندم اتفضلي معايا

سارت معها براءة بهدوء وهي تنظر حولها لعلها تلمح شئ يعجبها.

وفي نفس المول كان يسير ومعه بعض الرجال ينظرون حولهم بنظرات تدعو للريبة، ثم ودون أن ينتبه أحد أشار شخص يبدو أنه قائدهم بعينه تجاه المداخل، و خلال دقائق قليلة كان المول كله محاصر من قبل جماعة غريبة الهيئة، يبدون شباب بملابس عصريه لكن وجوههم غير واضحة حيث كانوا يرتدون الكمامات وقباعات رأس فأصبح تمييزهم صعب.

ثواني وعمت حالة من الرعب في أرجاء المول كله وعلت الصرخات حيث اقتحم المسلحون المحلات يرفعون الأسلحة على روادها .

انتبه زين لأصوات غريبة وحركات غير طبيعية بالخارج فأتجه للباب بسرعة لكن لم يكد يبلغ الباب حتى وجد جماعة مسلحة تدخل للمكان يرفعون اسلحتهم على الجميع، تلقائيا ذهبت يد زين لسلاحه دون أن يشعر أحد، لكن وجد فجأة من يدفعه بحدة للأرض :

- ايدك فوق

أثناء انتقاء براءة للملابس التي اتضح فيما بعد أن زين اختار لها أن ترتدي فساتين، سمعت صوت عالي في ممرات المول وصرخات النساء والأطفال تكاد تصم الأذان، نظرت للخارج وكادت تخرج لولا تلك العاملة التي كانت ترافقها جذبتها بعنف شديد داخل غرفة القياس تشير لها بالصمت :

- اهدي دول مسلحين

نظرت لها براءة بتساؤل عن كيفية معرفتها لهويتهم فتحت العاملة الباب بهدوء شديد وأشارت على شاشات المراقبة التي تظهر من شباك الغرفة المقابلة لهم، ثم دخلت سريعا واغلقت الباب فقالت لها براءة وقد بدأ الخوف يهاجم قلبها وكل ما تفكر به الآن حال زين، سمعت العاملة تقول برعب وهي ترتعش :

- بصي الفتحة دي بتاعتة التهوية بتوصل لاوضة التحكم المركزي في المول ومنها تقدري تلاقي اى وسيلة اتصال وتبلغي البوليس

نظرت لها براءة بتردد ثم أمسكت يدها مرددة بخوف عليها :

- طب تعالي معايا

ابتسمت الفتاة بحزن قائلة تشير لجسدها الممتلئ بعض الشئ :

- للأسف مش هقدر اعدي من الفتحة بس إنتِ تقدري

ابتلعت براءة ريقها ثم نظرت لتلك الفتحة بتفكير تشعر بالخوف ينهش قلبها نهشا، فجأة شعرت بيد الفتاة تضع في يدها حفنة من الأموال قائلة بدموع :

- لو حصل اى حاجة ليا ومخرجتش ادي الفلوس دي لأمي وقوليلها اني مش قصدي ازعلها والله، بس كنت مخنوقة بسبب الظروف اللي احنا فيها فزعقت فيها غصب عني.

ثم أخرجت بطاقتها قائلة :

- مفيش حاجة اكتبلك فيها العنوان دي بطاقتي عشان توصلي لبيتي، ولو ربنا كتبلي عمر يبقى هاخده منك تاني

هبطت دموع براءة وهي تضمها هامسة لها :

- هتخرجي وتديها إنتِ الفلوس، بس ادعي بقى مطمعش فيها واهرب

ضحكت العاملة على مزاحها ثم أشارت لها على الفتحة قائلة بلهفة :

- اطلعي بسرعة يلا قبل ما حد ياخد باله

هزت براءة رأسها ثم وضعت الأموال والبطاقة في جيبها وبعدها بدأت تستخدم قدمها لتتسلق الجدار حيث استغلت ضيق الغرفة وقرب

الحوائط من بعضها في التسلق واخيرا وصلت لفتحة التهوية أخذت تحاول دفع الباب الصغير الذي يوجد عليها حتى كسر ومدت جسدها فيه وبدأت تتحرك فيه بصعوبة بسبب قلة الأوكسجين.

في البهو العام في المول كان الجميع يضع يده على رأسه مستسلما لاوامر المقتحمين، ولكن هناك بعض الشباب كانوا ينظرون لبعضهم البعض بتحفز وكأنهم ينوون شئ ما.

اقترب احد الرجال المسلحين من رفيق له وقال :

- وزعنا القنابل في كل مكان

هز الاخر رأسه ببسمة مقيته قائلا بحقد شديد وغل يتآكل قلبه :

- تمام استنى مني إشارة

جلس زين على ركبته وعينه تدور في المكان محاولة اكتشاف الثغرات به، فجأة ارتفع صراخ طفل بجانبه بسبب رؤيته لذلك الفزع بين الجميع فأتجه له أحد المسلحين، هنا استغل زين الأمر وفي ثواني كان يتحرك بحركات مدروسة وسريعة يخرج سلاحه ويوجهه على رأس ذلك الشاب يصيح بعنف شديد :

- اسلحتكم في الأرض

نظر الجميع لبعض لحدوث ما لم يتوقعوه، صرخ بهم زين مجددا يضغط على رأس ذلك الشاب اكثر :

- الأسلحة في الأرض

حاول أحد المسلحين أن يفاجئ زين ويطلق عليه الرصاص ولكن فجأة وجد الجميع رصاصة تخترق منتصف رأسه وصوت زين يصدح بنبرة مرعبه صائحا :

- الأسلحة في الأرض والا مش هستخسر خزنة مسدسي فيكم واحد واحد.

في الأسفل قامت مجموعة من الشباب بالتراجع دون أن ينتبه المسلحين لهم مستغلين انشغالهم في أمر القنابل التي ستقتل الالاف بعد دقائق من الان وبمجرد ابتعادهم قليلا عن الانظار اخرج أحد الشباب هاتفه وتراجع اخر ليصبح خلف ذلك الشاب ويوجهه بهمس أين يضغط حتى استطاع الشباب عمل ما يسمى (بالبث المباشر) على أحد مواقع التواصل الاجتماعي يصورون كل ما يحيط بهم دون أن ينتبه لهم أحد وكان يتم تناقل الهاتف بين ايدي الشباب واحدا تلو الاخر لتغطية الزاوية من عنده، وفي خلال ثواني حدثت ثورة على مواقع التواصل الاجتماعي على هذا البث وهم يرون أناس في وضع الرهائن والعشرات من المسلحين يحيطون بهم.

وصلت براءة لفتحة التهوية في الغرفة المركزية ولكن كانت حالتها سيئة جدا بسبب صعوبة التنفس في تلك الممرات الهوائية، نظرت بعينها من خلال الباب المثقب للفتحة ولم تجد أحد في الغرفة، فسريعا ضربت الباب بقدمها نظرت أرضا للمسافة وابتلعت ريقها بخوف لكن لم تملك

حل سوى القفز وبالفعل قفزت أرضا فأطلقت صرخة مكتومة حيث تأذت قدمها سارت تعرج.

اخذت براءة تبحث حولها عن اى هاتف يمكنها به الاتصال بالنجدة لكن فجأة سمعت صوت أقدام تقترب من الغرفة فنظرت حولها برعب واختفت خلف أحد الطاولات وهى تكتم فمها برعب، رأت أقدام تقف أمامها لكن ما جلعها تصدم هو ما سمعته منهم.

تحدث ذلك الضابط والذي يبدو ذو رتبة عالية صائحا بصوت جهوري في الجنود أمامه :

- طبعا كلكم عارفين التعليمات، المدنيين أولا، ثم المسلحين، يعني لو قدامك فرصه تنفذ مدني ولا تقتل مسلح، هتنقذ المدني، أظن الكلام مفهوم

صاح الجنود أمامه بصوت عالي :

- مفهوم يا فندم

نظر ذلك الضابط بجانبه للقائد :

- جاهزين يافندم

نظر القائد جيدا للجميع قائلا :

- تمام ياباسل توكلوا على الله وخلي بالك الاعداد هناك مش شوية زى ما شوفت بعينك

تحدث وائل بثقة كبيرة وهو يؤدي التحية :

- تمام يا فندم

(عام ٢٠١١)

ملّ والد مؤمن من تصرفاته تلك فهو يرى ابنه يتهاوى ببطئ أصبح الأمر يؤرقه وبدأ يلاحظ تبدل ملامحه وتيقن أنه قد أصبح مدمن لذا بدأ بالبحث خلف الأمر ، وكان يظن أن كل ذلك بسبب زين ولم يعلم أن ابنه قد اتبع طريق اللاعودة، حيث أصبح مؤمن مدمن مخدرات بكل انواعها وهذا بالطبع بفضل رائد في المقام الأول والذي كان يعتقد أنه بهذه الطريقه ينتقم من زين ومؤمن كلاهما وفهو لا ينسى يوم خرج زين من المشفى بعد شجار عيد ميلاد سونيا، وقتها جاء زين في إحدى حفلات رائد وقام بضربه أمام الجميع وجعله سخرية لهم هو ومن معه وكل ذلك بسبب المدعو مؤمن، لذا ومنذ ذلك الحين تعاهد أن يدمر مؤمن وزين معا، وقد بدأ بالحلقة الأضعف بهم وهي مؤمن.

في إحدى السهرات المعروفة لهم، كانت سوسيتا تجلس مع مؤمن والذي تقربت منه كثيرا في الفترة الأخيرة وأثناء حديثهم بالتهامس كعادتهم، اقترب مجد يحمل بيده طبق صغير به مادة غريبة ووضعه أمام مؤمن والذي لم يكن بوعية فقد أخذ جرعته منذ قليل.

نظر مؤمن بتعجب للطبق فقال له مجد بخبث شديد :

- ده بقى يا صاحبي صنف تآني خالص هيخلي دماغك دي طايرة

ضحك مؤمن بعدم وعى وهو ينظر له قائلا :

- ليه هي بجناحات ولا إيه؟

ضحك مجد بسماجة قائلا :

- آكتر يا باشا آكتر، ده لسه صنف جديد وانت هتكون اول واحد يجربه

اعتدلت سوسيتا تنظر بشك لمجد و تبعد الطبق :

- بلاش يا مجد مؤمن كده ممكن يتأذي

ضحك مجد بسخرية وهو يقول :

- يا خلاصي الصغنن هيتعب وإنتِ بقى مامي اللي تقوله ياخد ايه؟

تضايق مؤمن من حديث مجد ذلك وقد زاد عليه تلك الضحكات التي علت من الشباب ساخرين من مؤمن، خشيت سوسيتا أن ينجرف مؤمن بسبب رعونته كالعادة فقالت بحدة :

- مجد انت عارف إن....

لم يكمل بسبب مؤمن الذي جذب الطبق :

- بيتاخد ازاى البتاع ده ولا بيتعمل ازاى؟

ابتسم مجد بخبث ينظر لرائد الذي هز رأسه ببسمة خبيثة، فقال مجد يناوله قطعة صغيرة تشبه الصلصال قائلا:

- بتحطها تحت لسانك وعيش ياباشا

أخذها مؤمن يناظرها بعناد أحمق ثم وبدون تفكير وضعها أسفل لسانه وهو يغمض عينه، ثواني وشعر بأسترخاء جسده كليا فأبتسم وأعاد رأسه للخلف براحة، بينما سوسيتا تتابعه بأعين قلقة.

تركهم مجد وذهب لرائد متمتما :

- مش كتير كده يا بوص

نفث رائد دخان سجارته قائلا بامتعاض :

- أخرس ونفذ اللي اقوله من غير لوك لوك كتير، بعدين مش شايفه مبسوط اهو

نظر مجد لمؤمن بخوف يرى ارتخاء جسده بطريقة غير طبيعية.

عند مؤمن كان يشعر بأنه لم يعد يمتلك التحكم في اعصابه بل جسده كله، ثواني واصبحت عيناه تغيم بسحب سوداء يشعر بأن الأرض تدور به، كان يسمع صرخات حوله لكن غير واضحة، شعر بأنفاسه تخفت وبضربات قلبه تتباطئ معلنا نهاية ضحية أخرى للشيطان واغواءه..

***

(الفصل الرابع)

كانت براءة تختبئ أسفل أحد المكاتب وهى تضع يدها على فمها برعب تستمع للحديث الذي يدور بينهم.

قال أحد الموجودين للأخر بخوف :

- ياعم ده طلع مجنون، ده عايز يفجر المكان باللي فيه، خلينا نمشي من هنا.

كادت شهقة تفلت من فم براءة لولا تحكمها فيها، سمعت الاخر يرد عليه :

- ملناش دعوة إحنا بس إللي علينا ننفذ كلامه عشان ناخد قرشين ونسافر بيهم نشتغل برة مش انت عايز كده؟

قال الاخر بتردد يشعر بالخوف من الأمر :

- ايوة بس مش لدرجة نفجر مول كبير زى ده مليان ناس بالآلاف، بعدين هو عايز يفجرة ليه؟ الا ما شوفناه حتى أخذ جنيه واحد

تحدث صديقه وهو ينظر حوله بريبة :

- كلام بيني وبينك، انا سمعت إن المول ده أساسا كان شرك بين المجنون اللي تحت وصاحب المول وهما صحاب من الجامعة بس لما بدأوا ينفذوا المول وكبروه زى ما إنت شايف كده، صاحب المول مضّى صاحبنا على ورق وهو مش دريان وطلع الورق بيع لنصيبه في المول ليه

شهق الشاب الاخر وهو يقول بشفقة :

- ده تلاقيه كان هيروح فيها

هز الاخر رأسه وهو يقول :

- حصل فعلا قعد فترة طويلة يخبط في الدنيا لغاية ما كسب قرشين وجاب ناس عشان ينزل المول على دماغ صاحبه ومش بس كده ده ناوي يفجره باللي فيه عشان ميقدرش صاحبه يرفع عينه تآني بعد اللي هيموت هنا بسببه

تحدث الاخر بصدمة :

- يا أخي ده جبروت ربنا ينجينا منه احنا نخلص المصلحة دي وناخد فلوسنا ونفلسع من البلد كلها

ابتسم الاخر وهو يربت على كتفه :

- وأخيرا ياض هنحقق حلمنا

كانت براءة تجلس أسفل الطاولة وهي تكاد تُجن مما تسمعه، همست براءة لنفسها :

- عشان تحققوا حلمكم هتدمروا حياة الالاف الناس

انتهى الاثنان من الحديث وخرجوا ليكملوا عملهم، بعدها خرجت براءة من أسفل الطاولة تجر قدمها جرا بسبب التواءها، نظرت حولها تبحث عن اى وسيلة للمساعدة فوقع عينها على هاتف أرضي، أتجهت له وهي تعرج ثم ابتلعت ريقها تحاول تذكر رقم الشرطة، حتى فجأة تذكرته وضغطت الازرار بسرعة تضع الهاتف على اذنها منتظرة الرد، اتاها صوت أحد الرجال فقالت بسرعة ولهفة :

- الو...

كان زين ما يزال يمسك ذلك الرجل مصوبا سلاحه جهته يرمق الآخرين الذين رموا أسلحتهم أرضا بخوف، فقال زين للمدنيين بصوت قوي :

- خدوا الأسلحة بتاعتهم

نظر الجميع لبعضهم البعض فصرخ بهم زين :

- بسرعة خدوا الأسلحة بتاعتهم

نهض الرجال الذين كانوا رهائن المسلحين وحمل كل واحد منهم سلاح فأمرهم زين :

- فين صاحب المحل ده؟

تقدم أحد الرجال وهو يقول :

- انا صاحبه

قال زين يشير بعينه لباب الخروج :

- في مخارج تانيه غير الباب ده؟

هز الرجل رأسه بنفى :

- لا هو ده بس المخرج الوحيد

عاد زين للخلف قائلا بجدية وحسم :

- طب بسرعة اخرجوا واحد ورا التاني وخلوا بالكم يكون فيه غيرهم برا، حاولوا تلاقوا اى مخرج، ومحدش يستخدم السلاح غير لو اضطر

أنهى حديثه وهو يخرج من المحل والقى الرجل الذي كان بيده داخل المحل قائلا لصاحب المحل بينما مازال يصوب السلاح لهم :

- اقفل الباب بسرعة

ركض صاحب المحل وأغلق الباب على من بالداخل فنظر زين للرجال ثم قال يركض للأسفل :

- ورايا نشوف مخرج

وبالفعل ركض خلفه الجميع وهم يحملون أسلحة، بينما كان زين يبحث بعينه عن المحل الذي ترك به براءة حتى وجده لكن كان محاط بالمسلحين وما كاد يتقدم حتى سمع صوت عالي جدا في الأسفل.....

حاولت براءة أن تفكر ماذا تفعل الآن فقد أبلغت الشرطة بأمر القنابل وكل شئ سمعته والأن لا تعلم ماذا تفعل لكن كل ما تفكر به هو زين تود لو تذهب له الآن تحتمي فيه كما اعتادت لكن كيف ذلك وهي شبه محاصرة.

اتجهت لباب الغرفة فتحته ببطئ وأشرأبت بعنقها قليلا علها ترى أى شئ لكن لم ترى أحد في الممر، خرجت ببطئ تتسحب على أطراف اصابعها متجاهلة ذلك الوجع الذي ينخر عظام قدمها.

استمرت في السير في ذلك الممر حتى وصلت لنهايته نظرت وجدت امامها البهو الرئيسي للمول والجميع يجلس أرضا مقيدين، لم تعرف ماذا تفعل الان تمنت لو كان زين برفقتها فهو من كان دائما يرشدها لما تفعل، هبطت دموعها بخوف لمجرد التفكير أنه ربما قاومهم كعادته وتأذى.

كانت براءة تنظر للجميع شاردة في زين وفيما يمكن أن يكون حدث له لكن فجأة شعرت بمن يكمم فمها بقوة ويجذبها للخلف.

نظر زين للمحل الذي كانت به براءة يرى الوضع أمامه فسيكون من الصعب التوغل لداخل المحل وانقاذها هي ومن معها فجأة شعر بأحد يضرب على كتفه بخفة، فأستدار بسرعة يعقد حاجبيه بتعجب وجد صاحب المحل الذي كانوا به بالأعلى يشير له قائلا بصوت هامس :

- المحل ده ليه باب تآني من المخزن اللي تحت؛ لأنه في الدور الأول فعشان كده مفتوح على الدور الأرضي عكس بتاعي.

ابتسم زين له ثم شكره بامتنان :

- شكرا جدا، لو تعرف مخرج للمول يكون آمن خرج الناس اللي معاك دي

هز الشاب رأسه ببسمة ثم شكره وهو يشير لجهة معينة :

- تمام شكرا جدا ليك، الباب اللي هناك ده باب طوارئ فيه سلم بيوصل للمول كله روح منه هيكون أمن من السلم الرئيسي هتنزل المخزن تحت ومن المخزن هتلاقي باب للمحل اللي انت عايزة

هز زين رأسه ببسمة ثم تحرك ناحية ذلك الباب الذي تحدث عنه صاحب المحل، لعله يجد الباب الاخر الذي يؤدي لمخزن المحل الذي ترك به زوجته.

في الأسفل تحدث قائد المسلحين والذي احضرهم لهذه المهمة لرجاله بأمر :

- ابدأوا تفجير الدور الأول..

أشار من معه بطاعة ثم ابتعدوا لمنتصف البهو حتى يكونوا بعيدا عن الانفجار وفي اللحظة التي ضغط بها على زر تفجير الدور الأول كانت القوات تقتحم المكان محاصرة الجميع.

كان زين يهبط الدرج بسرعة حتى يذهب لزوجته لكن بمجرد أن خطت قدمه الطابق الأرضي حتى شعر بأهتزاز عنيف وهواء ساخن يدفعه بقوة ليسقط أرضا.

(عام ٢٠١١)

نظر عزيز بضعف للطبيب الذي خرج للتو من عند ابنه وقال بحزن وشفقة على صغيره :

- يعني إيه يا دكتور ابني هيضيع مني كده؟

عدل الطبيب من وضع نظارته وهو يزفر بتعب :

- حالة ابنك معقدة يا عزيز بيه، واللي حصل في الاخر عقد الحالة آكتر

نهض عزيز وهو يصرخ بحسرة :

- يادكتور انت قولت أنه بيكون عنده عقده احساس بالذنب لما حد يموت وهو يكون متعلق بيه، بس.... بس صاحبه ده لما مات كان زين بعيد عنه وسابه من فترة

تنهد الطبيب يحاول شرح حالة زين التي ساءت بشدة

وانهيارة الذي أدى لسقوطه أرضا بعدما علم بموت رفيقه :

- اللي عرفته من حضرتك إن زين كان بيعتبر الشاب ده اكتر من أخ

هز عزيز رأسه بحزن على رحيل ذاك الشاب الصغير والذي كان يراه بريئا للغاية :

- ايوة مؤمن الله يرحمه كان قريب آوي من زين بس قبل وفاته باكتر من شهر وزين كان بعد عنه بسبب خوفه أنه يموت بسببه

هز الطبيب رأسه موضحا :

- اللي فهمته من القصة أن الشاب ده مات بسبب جرعة زايدة من المخدرات

هز عزيز رأسه بايجاب ومازال لا يصدق طريقة موت مؤمن فاكمل الطبيب :

- واللي عرفته كمان إن الشاب ده بدأ يتجه للمخدرات بعد انتهاء صداقته بزين صحيح

نظر عزيز له بتعجب يترقب تحليل الطبيب لحالة ابنه فقال الطبيب رأيه في الأمر :

- طيب يبقى الموضوع يا باشمهندس إن زين لما وصل ليه خبر صاحبه وبالشكل ده تحديدا حس بنفس الشعور اللي حس بيه وقت وفاة والدته وهو الشعور بالذنب وإن هو السبب

عزيز ولم يفهم بعد تحليل الطبيب :

- وده ايه علاقته بزين يا دكتور عشان يحمل نفسه ذنب موت مؤمن

قال الطبيب يشير بيده محاولا إيصال فكرته :

- يعني زين فكر إن موت صاحبة بالمخدرات ده كان بسببه؛ لانه اتجه ليها بعد ما ساب زين واللي عرفته إن مؤمن كان انطوائي فيمكن ده اللي خلا زين يفتكر انه السبب

وضع عزيز يده على رأسه بصدمة يكاد يبكي من الخوف على ابنه :

- يعني كده ابني ضاع مني؟

تحدث الطبيب بعدم تأكيد يربت على كتف عزيز مواسيا :

- اذكر الله يا باشمهندس انا بقول اني شاكك مش اكتر يمكن يكون في سبب تاني مخلي زين حاسس بالذنب والسبب ده ممكن يتم توضيحه لزين ويعرف أنه مش السبب

صمت الطبيب قليلا وهو يحاول ان يرتب كلماته ثم قال:

- زين من وقت موت والدته ودخوله في حالة اكتئاب حاد، وهو بقى حساس من جهة موت المقربين ليه، ولما صديقه ده مات رسخ في عقله شعور الاحساس بالذنب وانه هو السبب في أذية كل اللي حواليه، وده للأسف هيسببله مشاكل كتير وممكن تأدي إنه يعتزل العلاقات كلها، ويكون عنده فوبيا الفقد

سقطت دموع عزيز يحاول فهم مايحدث لأبنه :

- معنى كده انه ممكن يبعد عني؟؟؟

قال الطبيب بتقرير وهو يتنهد بتعب :

- لا مش معنى انه هيعتزل العلاقات يبقى هيعتزلك انت، انت والده وصعب يبعد، انا قصدي انه فيما بعد هيكون عنده مشكلة انه يسمح لحد يقرب منه، ولو حصل وسمح لحد انه يقرب هيكون عنده خوف هستيري على الشخص ده وممكن ينهار من مجرد جرح ليه، وهيبقى دايما ماسك فيه كأنه امله الوحيد في الحياة

تحدث عزيز بخوف على زين يفكر في مستقبل ابنه الذي يتدمر امام أعينه وهو لا يقدر على التصرف:

- طب والموضوع ده ملوش علاج؟

هز الطبيب رأسه قائلا بحزن وشفقة على عزيز :

- ليه علاج بس لازم زين يوافق انه يتعالج، زى ما انت عارف زين رفض العلاج آكتر من مرة من وقت موت والدته

بكى عزيز يفكر في ابنه ورفضه التام للذهاب لأى طبيب فقال بحزن :

- يارب انا مليش غيره يارب، قومه بالسلامه يارب

(في الوقت الحالي)

خرج وائل من غرفته يسمع صوت بكاء الصغير، فأتجه حيث صوت البكاء، في غرفة الصغير والتي أتخذتها زوجته مأوى لها بعيدا عنه.

دخل وائل للغرفة بسرعة وخوف على صغيرة، لكن وقف مبهوتا يرى حياة تقوم بحركات بهلوانية أمام الصغير محاولة اضحاكه.

توقف وائل ولم يتحرك خطوة إضافية ينظر إليها ببسمة وحنان، ولاحظ توقف الصغير تدريجيا عن البكاء حتى بدأ يبتسم ثم علت ضحكاته.

كانت حياة تقفز بحركات غبية أمام الصغير حتى تضحكه ولم تنتبه لذلك الذي يرمقها بحنان في الخلف، توقفت بتعب تأخذ أنفاسها بعد القفز المتعب ذاك لكن فجأة علت صرخات الصغير مجددا، فتخصرت سريعا وهى تغني له الأغنية المشهورة للأطفال (ابريق الشاى).

كان وائل يجاهد لكبت ضحكاته لكن لم يتمكن من الاستمرار وفي ثواني كان ينفجر ضحكا عليها، التفت حياة سريعا تنظر خلفها بخجل لوائل ثم تحدثت وهي تربع يدها أمام صدرها :

- نعم حضرتك بتضحك ليه؟

توقف وائل عن الضحك يرد عليها بحاجب مرفوع :

- ايه هى دي منطقة ممنوع الضحك فيها؟ بعدين أنا بضحك لابني، مش كده يا يحيى؟

أصدر يحيى صوتا وكأنه يجيب والده فأشار له وائل ببسمة :

- اهو حتى يحيى معايا، اطلعي انتِ منها

عبست حياة بضيق وهي تقول :

- كده طب أتفضل حضرتك بقى اقلب قرد لابنك عشان يضحك، طالما اطلع انا منها

ثم تركت الغرفة كلها وخرجت بينما هو نظر في اثرها ببسمة، لكن انمحت تلك البسمة يتذكر حديثها اللاذع الذي ألقته له سابقا، لذا اتجه لصغيره وحمله ينظر له بحنان وحب.

في الخارج كانت حياة تنظر للغرفة التي بها وائل تفكر فيما قالته له سابقا، زفرت بضيق :

- يارب وانا هعرف منين يعني؟

صمتت مغمضة عينها، ترجع رأسها للخلف ثم ابتسمت قائلة :

- شكلنا هنستمر في لعبة المرضاة دي كتير بس المرة دي انا اللي هسترضيك مش العكس.

حاصرت القوات جميع المسلحين فورا وقامت بالقبض على من تمكنت منه، كما قامت بأطلاق النيران على من قاومهم وحاول الهجوم عليهم.

كانت الحال عند الرهائن سيئة جدا حيث كان هناك من فقد عزيز عليه في انفجار محلات الطابق الأول.

فهناك نجد سيدة تبكي وتصرخ منادية ابنها، وهناك زوج يضم أبناءه ويشاركهم البكاء على زوجته التي فقدها، وهذا رجل يجلس جانبا بضعف وهو يبكي ابنته التي كانت تتبضع لزفافها، وذاك شاب يصرخ مناديا اخته التي تركته لشراء المزيد والمزيد بعد أن أصرت عليه المجئ، وهذه فتاة تبحث برعب عن والدتها وهي تبكي.

كان صوت البكاء هو سيد الموقف، أصوات متداخلة غير مفهومة ولكن يجمعها شئ واحد وهو الوجع.

نهض زين من على الأرض بألم بسبب الدفعة القوية التي تلقاها والتي لا يعلم سببها لكن سمع أصوات صراخ وبكاء يأتي من الجهة الاخرى للباب الذي يخرج على الطابق الأرضي فأتجه له سريعا، وصُدم من تلك الحالة، صراخ وعويل ورثاء، حالة عاشها هو سابقا، ويعلم وجعها جيدا، خرج بأقدام تأبى التحرك وكأنها تعلم أنها تسير في طريق نهايته لن تكون جيدة.

اقترب زين من أحد الشباب الذي كانوا يراقبون الوضع بأسف، فقال زين بعدم فهم :

- هو فيه إيه؟

نظر له الشاب بتعجب لعدم معرفته ما حدث ثم أشار على الطابق الأول :

- المسلحين اللي كانوا هنا فجروا الدور الأول كله وفيه ناس كتير ماتت ومش عارفين...

لم يستمع زين لباقي حديثه فقد توقف عقله عند جملة (انفجار في الدور الأول)، ذلك الطابق الذي ترك به زوجته منذ ما يقارب الساعة، تعرض لانفجار ولكن ماذا عن زوجته؟؟

نظر حوله كالتائه ثم وبدون شعور وجد نفسه يقترب من الدرج المؤدي لأعلى رغبة في البحث عن زوجته لابد أنها تنتظره في الأعلى، نعم هو أخبرها أن تنتظره، تقدم من الدرج وكاد يصعد عليه لولا بعض الجنود الذين سحبوه بعيدا عن الدرج، فشعر زين بقرب دخوله في حالة هستيرية يقول لهم:

- مراتي فوق هي مستنياني هروح اجبها

تحدث أحد الجنود بشفقة يجذبه بعيدا :

- كل اللي فوق ماتوا في الانفجار ومفيش حد عاش

ابعد زين ايديهم بعنف شديد يصرخ :

- ابعدوا عني هروح اجيب مراتي وانزل على طول، ابعد عني بقولك

جذبه الجنود بعيدا فمازال الطابق الثاني يشتعل بالبضائع التي كانت به

صرخ زين يتحرك كالمجنون بين ايديهم :

- ابعدوا عني، مراتي فوق هي فوق لوحدها ابعدوا عني

ثم أخذ ينادي بصوت عالي وكأنها ستسمعه :

- يا بـــــــــــــراءة

ازداد جنون زين يشعر بقوة الجنود في جذبه فتذكر كل من فقدهم وسقطت دموعه يصرخ بجنون :

- يا براءة بالله عليكِ متسبنيش زيهم يا براءة، يا براءة بالله عليك يا براءة

ازدادت دموعه يتذكر موت والدته أمام عينه وبسببه، وموت مؤمن بسببه أيضا، والآن زوجته التي لم يعلم أنه يحبها سوى البارحة فقط، هو السبب أيضا فهي رفضت المجئ هنا وطلبت أن تتناول الطعام أولا لكنه أصر على المجئ، وللمرة الثالثة يتغلغل إليه ذلك الشعور القاتل مجددا، شعور الاحساس بالذنب

بكى اكثر يصرخ بعنف لدرجة جعلت الجميع يبكى على بكاءه :

- انا السبب انا السبب، هي قالت نروح ناكل الاول وانا رفضت

علت شهقاته يقول بصراخ ونحيب :

- انا السبب انا اللي قتلتها زى ماما ومؤمن انا اللي قتلتهم كلهم

فجأة شعر بأحد يجذبه بقوة ويضمه في احضانه يحاول السيطرة عليه واخترق صوت أحد اذنه وهو يقول :

- اهدى يا زين اهدى ارجوك

رفع زين نظره لذلك الشخص وقال بصعوبة من بين شهقاته :

- باسل؟؟ انا اللي قتلتها يا باسل انا قتلت مراتي وامي وصاحبي يا باسل انا قتلتهم كلهم

حاول باسل(قائد القوات التي هجمت) التماسك يضم صديقه والذي ابتعد عنه منذ ايام الجامعة لسبب لم يعرفه هو، ربت على ظهره يحاول أن يهدئه :

- اهدى يا زين انت ملكش ذنب في اللي حصل

دفعه زين بحدة وهو يصرخ :

- لا لا انا السبب يا باسل انا السبب هي قالتلي مش عايزة تشتري لبس بس انا... انا قولتلها لازم ندخل ونجيب انا اللي جبتها هنا

بكى زين اكثر ينظر الطابق الذي احترق بالكامل يصرخ :

- انا اسف انا السبب

ركض باسل بسرعة ليمسك زين قبل أن يسقط أرضا بينما زين كان على وشك الدخول في حالة انهيار حتى اخترق مسامعه صوتها رفع أعينه بسرعة فرآها تركض له ببطئ تبكي، نهض سريعا وركض جهتها وهو يتخبط في الجميع، حتى وصل إليها وتلقفها في أحضانه يضمها بعنف ويبكي :

- انتِ عايشة صح؟ انا مجنتش وانتِ عايشة

بكت براءة اكثر تضمه :

- انا عايشة يا زين ومعاك اهو اهدى بالله عليك

بكى زين بشدة يقول بحديث متقطع بسبب شهقاته:

- كنت هطلعلك بس هما مسكوني

ابعدته براءة عنها تضم وجهه بين يديها قائلة بحنان من بين دموعها :

- انا كنت تحت يا زين، نزلت قبل الانفجار

نظر لها زين بتعجب ولم يكد يجيب حتى سمع صوت باسل بجانبه وهو يقول بتعجب :

- دي مراتك؟

ضم زين براءة إليه وكأنه يحميها :

- ايوة مراتي انت تعرفها؟

هز باسل رأسه ثم قال يبتعد :

- حمدلله على سلامة المدام يا زين

نظر زين لرحيله بجمود وبعدها أخذ براءة وخرج من المكان فالبكاء حوله يجعله يتذكر كل ما مر به.

وصل زين لسيارته التي صفها بعيدا قليلا عن المول ثم صعد إليها وبجواره براءة التي بمجرد أن صعدت جواره حتى جذبها بقوة لاحضانه بخوف وضربات قلبه مازالت سريعة :

- حاسس نفسي بحلم واني لسه جوا بصرخ باسمك

بكت براءة وهي تبعد نفسها عنه قائلة بحنان :

- انا بخير ومعاك يا زين، خلاص ارجوك ابعد من هنا مش قادرة افضل ثانية كمان

ابتعد زين عنها يمسك المقود بأيدي مرتعشة يخرج من ذلك المكان الذي كاد يفقدها فيه.

سار زين بسيارته حتى توقف بعيدا امام البحر فهبط من السيارة يتنفس بهدوء لربما ينسى كل ما حدث له منذ قليل.

لحقت به براءة تربت على كتفه قائلة بتردد متذكرة حالة انهيارة :

- زين انت كويس؟؟؟ فيك حاجة تعباك؟؟

نظر لها زين قليلا ثم هز رأسه يجلس أرضا بجانب السيارة مشيرا لها لتجاوره فجلست بجانبه تنظر له بترقب ، بينما هو نظر للبحر بشرود ثم قال بهدوء :

- الموضوع بدأ من لما كنت صغير.....

كانت شريفة تجلس بجانب رائد الذي كان يضحك عليها بسخرية، فصرخت به قائلة:

- ما خلاص بقى يا خويا مش كل خمس ثواني تفضل تقطم فيا

ابتسم رائد بسخرية وهو ينظر لاثر الجروح في وجهها الناتجة من ضرب زوجها لها قبل أيام قليلة :

- انا بضحك على غبائك، يعني كل السنين دي ومش عارفة تسيطري عليه

قالت شريفة بحقد ترمق لرائد بضيق :

- مين قال كده؟ طب ده فتحي ده مكنش يتحرك من غير ما اشاورله بايدي كده

ضحك رائد بقوة يشير لوجهها :

- يا شيخه من غير حلفان باين اهو على وشك

نظرت له شريفة بغضب ثم نهضت :

- مش ده كله بسببك انت مش انت اللي قولتلي أقرب من واحد من رجالة زين

نظر لها رائد بسخرية :

- واحد من رجالته مش اخو واحد من رجالته

حركت شريفة يدها في الهواء بامتعاض :

- هو ده اللي قدرت عليه، حاولت أوقع اخوه لقيته هو اللي اندلق على بوزه، قولت ما يخسرش

ضحك رائد ينهض قائلا بينما يخرج من الغرفة :

- اممم وانتِ مش بتضيعي وقت

لحقت به شريفة تقول بتعجب :

- رايح فين؟

قال رائد بغموض يتجه لأحد الغرف :

- هنشوف حبيبتك عاملة ايه في ضيافتنا؟

ثم فتح الباب ولحقت به شريفة للغرفة التي توجد بها سوسيتا

كان مجد يجلس مع رجال رائد في غرفة يتحدثون في أمور عديدة، حتى سمع بعضهم يتحدث عن انفجار ما فاقترب منهم بفضول متسائلا:

- انفجار ايه ده؟

قال أحدهم يشرح له حديثهم :

- أصل بيقولوا فيه ناس معندهاش ضمير دخلت على مول وحطت فيه قنابل بس الشرطة عرفت توقفهم قبل ما يفجروه كله... بس فجروا فيه دور واحد بس

ضحك مجد بسخرية قائلا باستهجان :

- ناس معندهاش ضمير؟!! على اساس اننا بنبيع سبح

كاد مجد يكمل حديثه لولا انتباهه لصوت يعرفه جيدا فبحث بعينه عن مصدر الصوت حتى وجد أحدهم يشاهد شئ في هاتفه فجذبه بعنف منه نظر إليه، فصُدم وهو يرى زين يصرخ في الفيديو وهناك جنود يسحبونه بعنف، هتف بعدم تصديق :

- زين عايش؟؟

رفعت سوسيتا رأسها تنظر لرائد الذي أشعل الاضواء كادت تصيبها بالعمى للحظات حتى اعتادتها.

ضحكت شريفة تقترب منها :

- يا عيني على الحلو اما تبهدله الأيام، ما قولتلك يا سوسو خليكي معايا تكسبي.

ابتسمت سوسيتا ببرود تنظر لها بشر:

- منا قولت كفاية واحدة.. في الدنيا

غضبت شريفة من اهانة سوسيتا لها فصفعتها بعنف تسبها بألفاظ نابية، ركض لها رائد يمنعها ببسمة عابثة :

- مش كدة برضو يا شوشو دي سوسيتا حبيبتنا، ده احنا كلنا عيش وملح سوا حتى

قالت سوسيتا بغضب وحقد ترمقهم بكره :

- ياريتني كنت اتسميت ولا اكلت العيش والملح بتاعكم ده

ضحك رائد وهو ينحني أمام وجهها هامسا بتسلية :

- تؤتؤتؤ بقيتي ناكرة للعشرة يا سوسيتا، الله يرحم الهيروين اللي كنتِ بتسحبيه زى الأكسجين

صرخت سوسيتا بعيون احمرت من كتمها للدموع تصيح به :

- يا أخي حسبي الله ونعم الوكيل فيك وفي كل الكلاب اللي معاك، وهو يعني سيادتك كنت بتتبرع بيه لله وللوطن مش كنت بتخليني اجرجر رجل مؤمن قصاد الشمة، ملعون ابوكم ولاد..

صفعها رائد بحدة يشير لها بتحذير :

- الظاهر القلم بتاع شريفة معقلكيش، اتقي شري يا سوسيتا عشان انا صبري قرب ينتهي

صرخت به سوسيتا بجنون وغصب جحيمي :

- اقتلني يا رائد اقتلني عشان متجيش تندم بعدين انك مقتلتنيش، لاني لو ممتش انت هتموت يا رائد وعلى ايدي

ضحك رائد بشده يصفق يده على حديثها بينما ابتسمت شريفة بسخرية.

دخل مجد الغرفة وهو يمسك هاتف بيده ويمده لرائد قائلا بأنفاس لاهثة :

- زين لسة عايش

كان ذاك المجهول يجلس في الغرفة ينظر لصور شاب مبتسم ويبدو كالطفل الصغير بملامحه البريئة، فمد يده يتحسس تلك الصور قائلا بنبرة شجية ودموع مكتومة :

- خلاص يا حبيبي قريب هخلص منهم كلهم وانتقم من اللي بعدك عني، هخليهم يندموا واحد ورا التاني

مد يده ومسح تلك الدموع التي تكاد تهبط ثم قال بحقد شديد :

- زين وسوسيتا ومجد كل واحد فيهم هيشوف مني الويل

اغمض عينه بشدة يحاول التحكم في أعصابه، يتذكر ذلك اليوم الذي كان بداية جحيمه.

(عام ٢٠١١)

هزت سوسيتا جسد مؤمن برعب وهي ترى حالته تلك لكن لا يوجد استجابة منه فابتلعت ريقها برعب تناديه بهمس :

- مؤمن، مؤمن

وايضا لا رد، نظرت سوسيتا حولها تشعر أن الدنيا تضيق بها وأنفاسها تتباطئ رعبا ثم هزته بعنف أكثر تبكي وتصرخ باسمه :

- مؤمن، اصحي يا مؤمن، ابوس ايدك اصحى

أخذت تلطم وجنتها تصرخ برعب :

- يا نهار اسود يا نهار اسود، اصحي يا مؤمن

سمعت رنين هاتفه فامسكته بسرعة تجيب بدون وعي قائلة بصراخ :

- مؤمن مش بيرد مؤمن مات

نهض والد مؤمن بفزع من مكانه يهتف :

- انتِ مين وفين ابني؟؟؟؟

قالت سوسيتا بانهيار ويبدو انها جنت تماما حيث كانت تتحدث دون وعي ، تبكي بعنف :

- انا سوسيتا ومؤمن معايا ومجد عطاه برشام وهو مش بيرد و شكله مات

شعر والد مؤمن بأن قلبه يكاد يتوقف وظن أن الأمر مزحة فصرخ بها :

- انتِ بتخرفي تقولي ايه؟ فين ابني انطقي؟ مين اللي معاه؟

صمت قليلا ثم قال بتقرير اكثر منه سؤال :

- هو راح عند زين، صح هو عند زين؟

بكت سوسيتا بعنف تنظر حولها بجنون :

- زين م.....

فجأة سمع والد مؤمن صوت صافرة الهاتف تعلن إغلاق المكالمة فصرخ بغضب يحاول الاتصال مجددا

بينما على الجانب الاخر نظر رائد بغضب لسوسيتا وهو يصفعها :

- يا غبية هتودينا في داهية

بكت سوسيتا تنظر لجسد مؤمن الذي لايتحرك قائلة برعب :

- مؤمن مش بيتحرك ده شكله مات الحقه بسرعة ابوس ايدك

صرخ بها رائد يجذب يده منها :

- الحقه إزاي يا متخلفه وانتِ بتقولي انه مات، اسمعي كويس اللي هقوله بدل ما هخلي حياتك جحيم، اللي حصل هنا

محدش هيعرفه انتِ سامعة، احنا لا نعرف مؤمن ولا عمرنا شوفناه فاهمة؟

نظرت له سوسيتا بتعجب تقول من بين دموعها :

- بس هو

قاطعها رائد بنبرة مرعبة :

- اللي قولته يتنفذ، ابوه مفكر إن ابنه ده كله مع زين وميعرفش عننا حاجة ومحدش يعرف عننا حاجة

فتحت سوسيتا فمها بصدمة تنظر لهم وشعرت كما لو أنها سقطت بين مجموعة شياطين، والآن فقط أدركت لما كانوا يمنعون مؤمن من الجلوس معهم في الجامعة او محادثتهم حتى لا يشك بهم أحد اذا ما حدث شئ به هذا يعني أن ما حدث ليس صدفة بل كان مخطط له .

قال رائد بتحذير اخير ولم يكن يعلم أن سوسيتا سبق ونطقت اسمها واسم مجد على مسامع والد مؤمن :

- اللي حصل ده ينمحي من دماغك، مؤمن مكانش معانا

مؤمن كان مع زين...

(في الوقت الحالي)

كان عزيز يقف أمام طاولة الاجتماعات في شركته وهو يلقي على مسامعهم اخر ماتوصل إليه في المشروع الذي يتناقشون به، ولكن فجأة أثناء حديثه تم عرض فيديو خاص به وهو يرتدي ثياب ملونة عليها رسومات كرتونية ويغني فيها أحد اغاني الأطفال، وفي ثواني كانت الضحكات تهز ارجاء غرفة الاجتماعات بينما حاول عزيز أن يوقف الفيديو بسرعة فيبدو أنه نسى وبدل بينه وبين فيديو العمل.

نظر عزيز للموظفين نظرة غضب مصطنعة :

- جرا ايه منك ليه، ايه اول مرة تشوفوا واحد بيغني ام كلالة ولدت ولا إيه؟

حاول الجميع كتم ضحكتهم لكن بدون إرادة منهم فلتت الضحكات وعلت لتملأ المكان وكعادة عزيز الغير شرس بالمرة كما يحاول أن يظهر، قال أحد الموظفين يحاول التوقف عن الضحك :

- اسف يافندم أصل حركات حضرتك تفطس من الضحك

ثم قام بتقليد رقصة عزيز :

- خاصة حتة ام كلالة ولدت يلا نروحلها

قال عزيز محاولا أن يحفظ ما تبقى من ماء وجهه :

- لعلمكم بقى الفيديو ده مقصود، وجايبه هنا عشان فكرة في دماغي

نظر له الجميع بتعجب فأكمل عزيز يدعي الجدية :

- المشروع الجديد يا اساتذه هو مشروع مستشفى عشان كده قررت أن الاجتماع الجاى كله يجي ومعاه تصميم للمستشفى اللي أم كلالة ولدت فيها كلالة

نظر له الجميع بغباء غير مصدقين حديثه ذاك فأبتسم هو بشماتة عليهم فقد استطاع قلب الطاولة :

- اى أسئلة؟؟ تمام اشوفكم على خير

وكاد يرحل ولكنه توقف فجأة قائلا بجدية كبيرة :

- آه ياريت متنسوش وانتم بتصمموا المستشفى تصمموا جنبها مول عشان لما ام كلالة تولد ناخد موز وبندق ونروح نباركلها

أنهى كلامه وهو يخرج مبتسما بتشفي على ملامح الصدمة التي علت وجوههم، دخل عزيز لمكتبه وحمل كل اشياءه في حقيبته ثم اخرج هاتفه يجري مكالمة بفرج وانتظر الرد لحظة خروجه من الشركة متجها للجراج.

وأثناء اقتراب عزيز من سيارته سمع صوت خلفه وماكاد يستدير حتى شعر بضربة قوية على رأسه ليسقط على اثرها أرضا..

***

(الفصل الخامس)

نظرت براءة بحزن لزين حينما انتهى من قص حكايته عليها، وأخبرها سبب انهياره ذاك، مدت يدها تربت على كتفه بحنان :

- بس انت ملكش ذنب في موت مؤمن يا زين

نظر زين أمامه بحزن :

- لا ليا ذنب أنا اللي عرفته على رائد وكان ليا يد في عداوتهم وأنا اللي سيبت مؤمن فريسة ليهم بسبب ضعفي، الذنب كله عليا يا براءة، أنا السبب في موته وموت أمي.

صمتت براءة تشعر بالوجع لحديثه ذاك ثم قالت وهي تشرد في البحر أمامها :

- تعرف يا زين من زمان كنت بقرأ مقولة غريبة آوي

انتبه لها زين بفضول ثم حثها بعينه على إكمال حديثها فأكملت ببسمة :

- الجملة دي بتقول " لطالما تستهوى النفس سجنها"

في الأول مكنتش بفهم يعني إيه معناها، ومين الغبي اللي ممكن السجن يستهويه، أصل مفيش أجمل من الحرية بس بعدين فهمت

نظر لها بترقب لباقي حديثها فأكملت تنظر لعينه :

- فهمت أن مش القصد بالسجن هنا هو السجن المعروف، اللي بقضبان وسجان وقاضي، لا السجن التاني سجن احنا اللي بنعمله لنفسنا

تحدث زين بعدم اقتناع لحديثها :

- سجن بنعمله لنفسنا؟؟

ابتسمت تهز رأسها مكملة :

- ايوة احنا اللي بنعمله لنفسنا، في الأول بنعمله بسبب شعور بالذنب او خوف، أو اسباب كتير ومع الوقت بنألف السجن ده وبنألف العيشة فيه وبنحس إننا لو خرجنا مش هنعرف نعيش برة فبنكمل حياتنا في السجن ده.

تنهدت قليلا ثم اغمضت عينها وبعدها فتحتها :

- ولما يجي تصريح بالبراءة بنحس بخوف من إننا نقبله وبنلاقي نفسنا بنرفضه ونرجع تآني للسجن اللي احنا عملناه.

تحدث زين ينظر لها وعقله لا يستوعب تلك الكلمات :

- اللي بتقوليه ده مش منطقي ومجرد كلام في الكتب يا براءة.

ابتسمت له براءة ثم طرحت عليه سؤالها :

- بجد طالما مش منطقي يبقى ليه لسه ساجن نفسك؟

كرمش زين ملامحه بدهشة ثم تحدث كأنما يحدث نفسه :

- انا مش ساجن نفسي، أنا فعلا ب....

قاطعته براءة ببسمة هادئة :

- لا يا زين ساجن نفسك وحاكم على نفسك بالمؤبد ورافض اى عفو للخروج، انت ظالم يا زين

بهت وجه زين كثيرا مرددا كلمتها بدون وعى :

- ظالم؟

هزت براءة رأسها بإيجاب قائلة :

- ايوة ظالم، بس مش ظالم لغيرك، لا إنت ظالم لنفسك، عايش في سجن ظلمك بقالك سنين، بتلوم نفسك على حجات إنت ملكش علاقة بيها

لم يجيب زين عليها هذه المرة فأكملت ببسمة تمد يدها بترقب :

- مش كفاية ظُلم يا زين؟ آن الأوان تاخد براءة من سجنك ده.

نظر زين ليدها بشرود يفكر في حياته وما حدث له سابقا وكل شئ يمر أمام عينه.

نظر عزيز بتأفف لمن يقف أمامه :

- يابني مينفعش القعدة دي، انا راجل كبير وقد والدك، مش مرتاح كده

ضحك مجد ينظر لعزيز بشر صائحا :

- لا مؤاخذة يا حاج بس إللي عمله ابنك فيا مخيلنيش اشفق عليك حتى

تحدث عزيز بامتعاض يحاول تحريك جسدة:

- ما هو أصله عيل زبالة وعاق انا متبرى منه أساسا، مش جايلي من وراه غير وجع القلب.

ضحك رائد الذي كان يجلس على المقعد أمامه :

- والله زمان يا عزيز والله وحشتني يا راجل

نظر له عزيز بسخرية ثم قال ببسمة مصطنعة :

- مين رائد حرامي الشباشب عاش من شافك يا راجل

تحولت نظرات رائد للشر ينهض متجها لعزيز :

- اسمع يا راجل يا خرفان انت، خلاص رائد بتاع زمان االي كنت بتمنّ عليه انت والمحروس ابنك تعيش إنت.

هز عزيز رأسه بأسف شديد :

- لا حول ولا قوة الا بالله، ما دايم الا وجهه، الله يرحمك يا رائد كان عيل معفن والله يدخل البيت من هنا وريحة السجاير بتدخلي اوضتي في الدور التاني، بس يلا اهو ريح واستريح

زمجر رائد بغضب وكاد يهجم على عزيز غير مراعيا للسن ولا لأي شي لكن امسكه مجد :

- اهدى يا رائد مينفعش كده، خلينا نعرف نجيب زين لهنا ونهدده بوالده، اكيد مش هيهون عليه يسيبه هنا وهيجي على طول ووقتها نقدر نمسكه

ابتسم عزيز بغباء مشيرا لنفسه :

- انا يابني؟ شكرا على ثقتك الغالية

مسح رائد وجهه ثم قال بضيق :

- محدش قدر يحدد مكانه هو والبت دي

قال مجد ينظر لرائد بأهتمام :

- احنا عرفنا أنه في قرية ساحلية في مدينة مرسى مطروح بس فين بالضبط لسه معرفهاش

تحدث عزيز بخيبة أمل يهز رأسه بحزن :

- شوف المعفن، بقى انا انخطف واتبهدل ويتقل بقيمتي وهو رايح يصيف ويركب البيتش باجي، ويتفرج على الميوهات

نظر رائد لعزيز بنفاذ صبر يصرخ بمجد :

- سكته عشان انا جبت أخري منه مش عايز اسمع صوته، وروح شوف الزفتة سوسيتا اللي مش طالع ليها صوت لتكون اتكلت

تحدث عزيز بفرحة كبيرة يترجاهم :

- هي سوسيتا هنا!؟ طب بالله عليك لتجبها تونسني أصل مش بحب اقعد لوحدي.

مسح رائد وجهه بغضب ثم اتجه لعزيز وهذه المرة ينتوي قتله كليا ولكن صرخ به عزيز بنبرة مرعبة وجادة حينما استشعر الخطر :

- أقف مكانك لو اتحركت خطوة واحدة انا هفرغ المسدس فيك

(عام ٢٠١١)

مرت أيام وبدأ زين يستعيد وعيه و يعود لحياته، لكن بجسد ميت تقريبا، وبمجرد استعادته لصحته أخذ يبحث في كل مكان عن رائد ومجموعته، فهو لم ينتهي منهم بعد، فجأة سمع رنين هاتفه وجد أن المتصل هو باسل رفيقه والذي كان قد أبتعد عنه لفترة طويلة، لكن عاد مؤخرا لطلب مساعدته في إيجاد رائد، أجاب زين بلهفة :

- باسل، ها قولي لقيتهم؟

زفر باسل بضيق وهو يقول :

- لسه مصر على اللي في دماغك يا زين؟

اشتدت قتامة عين زين بعزيمة يضغط على حروفه :

- اخلص يا باسل لو قعدت العمر كله هفضل ادور عليهم.

قال باسل وهو يخشى أن يتهور، ويعلم أنه سيتهور :

- اللي عرفته من مراقبة واحد فيهم إنهم دايما بيسهروا في اى مكان وبعدين بيتجمعوا آخر السهرة في شقة في....

ودون أن يصدر من زين رد أغلق الهاتف وأخذ اشياءه وتحرك سريعا خارجا من المنزل دون أن يخبر والده حتى متجها لتلك الشقة التي اخبره عنها باسل، ثم عسكر أسفل تلك العمارة منتظرا ظهور اى أحد منهم.

وتمر الساعات ولم يظهر احد، حتى اعتقد زين أن باسل كان يضلله حتى لا يتهور، عند هذه الفكرة شعر زين بتدفق الغضب لاوردته لولا رؤيته لاقتراب سيارات من تلك العمارة فأعتدل في جلسته ينظر إليهم جيدا حتى تبين له ما كان يبغى، فقد كانت تلك السيارات بها رائد ورفاقه، هبطوا من السيارات يضحكون بصوت عالي سافر وكأنهم لم يتسببوا في موت أحد مؤخرا.

انتظر زين دخولهم للعمارة، هبط خلفهم ولحق بهم سريعا يراقب المصعد حتى توقف عند طابق معين اتجه له زين سريعا ولم ينتظر

حتى المصعد، واخيرا وصل لذلك الطابق وجد شقتين به فأتجه لأول شقة تقابله وبالفعل سمع صوت أحد هؤلاء الحمقى يجيب عليه.

تحفز جسد زين ينظر للباب حتى وجده يُفتح ودون أن يعطي من فتح فرصة كان يلكمه بعنف ودخل وأغلق الباب مخرجا سلاحه صارخا بالجميع :

- كله يرفع ايده

نظر الجميع لبعضهم بخوف بينما سقط قلب رائد في قدمه وعلم سبب قدوم زين فكاد يقترب منه محاولا التحدث لكن دفعه زين بغضب يصرخ به :

- قولت كله يرفع ايده

عاد رائد للخلف منفذا أوامر زين حتى يتقي غضبه، بينما كان مجد يمد يده خفية يمسك سكين الفواكهه واستغل انشغال زين برائد فهجم عليه سريعا.

تفاجأ زين بمجد يهجم عليه حاملا سكين فعاد للخلف سريعا يحاول تجنبه لكن أصابه مجد في ذراعه مبتسما بقذارة، هنا فقد زين عقله كليا وهجم علي مجد يكيل له الضربات غافلا عن الجميع، واخيرا أخذ من مجد السكين وكاد يعود حاملا مسدسه مجددا فأنطلق له مجد مستلغا انشغاله عنه وهجم عليه مجددا، لم يشعر زين بنفسه إلا وهو يضربه بالسكين شاقا وجهه بشق يمتد من عينه لرقبته، صرخ مجد صرخات صمت الآذان وفي ثواني كان باسل يقتحم المكان مع الشرطة

وقد أبلغ أن هذه الشقة يتم بها تصرفات غير قانونية، نظر زين حوله يرى الشرطة تسحب الجميع ومازال صراخ مجد يعلو فلم يشعر بنفسه سوى وهو يسقط أرضا، وكان آخر ما سمعه هو صرخات باسل بأسمه.

(في الوقت الحالي)

نظر زين بتردد شديد ليد براءة التي تمدها إليه وابتلع ريقه بتشوش فقالت براءة تشجعه :

- كفاية وجع يا زين كفاية سجن لنفسك

قال زين بنبرة ضعف في صوته يحدق بيدها :

- انا مش عايز أفضل مسجون يا براءة في ظلمي زى ما بتقولي بس مش قادر اخرج منه، كل لما بغمض عيني بشوف امي ومؤمن بيبصولي بلوم، كل ما بحاول انسى واعيش ألاقي حاجة تفكرني، وآخرهم كانت الحادثة االي حصلت من شوية.

صمت يحاول الهدوء فكلما تذكر أنه كاد يفقدها يشعر بأنفعال شديد:

- وكان هيبقى بسببي برضو، لإنك انتِ كنتِ رافضة نروح نجيب لبس الأول وانا اصريت وكنتِ هتموتي بسببي

ابتسمت بحزن ثم قالت تخرج شئ من جيب ثيابها :

- ليه متقولش أنه كان قدر من ربنا عشان نوصل رسالة لأم

نظر لها بعدم فهم. فمدت يدها بما تحمله :

- البنت اللي عطتني الحاجات دي يا زين لولاها كنت مت، هي اللي خرجتني من فتحة التهوية وبعدين هربت للاوضة المركزية ومن هناك قابلت الظابط اللي كان معاك وهو اللي خرجني بعد ما ردّ رجلي

نظر لها زين بترقب لإكمال حديثها فقالت بدموع :

- عطتني الفلوس دي وقالتلي اديها لأمها واقولها إن هي مكانش قصدها تزعلها وإن الدنيا هي اللي جات عليها

امسك زين يدها بما تحمله ثم قال ببسمة يحاول التخفيف عنها :

- طب مش عايزة توصلي الأمانة دي؟

نظرت له بدموع وهزت رأسها، فاقترب منها زين معانقا إياها يربت على رأسها بحنان مرددا :

- ربما يرحمها ياقلبي هنروح نزور مامتها وهتأكد بنفسي إن مفيش حاجة نقصاهم أبدا

ضمته براءة تهز رأسها بايجاب وتحاول مداراة دموعها.

انطلقت سيارة زين تشق طريقها نحو منزل تلك الفتاة لتنتهي براءة من ذلك الثقل الذي تحمله رغم التردد الذي يسكن قلبها تجاه ما ستفعله.... كيف تواجه أم بموت ابنتها تنهدت بتعب لتنتبه أن زين توقف بسيارته، نظرت حولها بتعجب لتكتشف أنها شردت طويلا وأنهم قد وصلوا للمكان المسجل ببطاقة الفتاة.

ابتلعت براءة ريقها ومدت يدها لتفتح باب السيارة وزين أيضا هبط من السيارة لكن بمجرد خروج براءة من السيارة حتى شعرت بشئ يصطدم بوجهها بعنف شديد لتقع على ظهرها.

صدح صياح أحد الصبية صارخا :

- إنتِ يا ابلة ياللي واقفة في وش الجون عاجبك كده ضيعتي جون عالمي

فتح زين عينه بصدمة يرمق براءة التي سقطت بسبب اصطدام كرة بوجهها وما كاد يتحرك لها حتى وجدها تنهض سريعا صارخة بعنف :

- معلش لو مش هزعج روح ابو تريكة اللي جواك بس الكورة شالت وشي حضرتك وإنت زعلان على الجول العالمي

صرخ بها أحد الصبية بتأفف متجاهلا حديثها :

- احدفي الكورة يا ابلة خلينا نكمل بلاش عطلة

أمسكت براءة الكرة لتنظر لها بغل متساءلة:

- الكرة دي؟؟

هز للصبى رأسه بايجاب لترفع براءة يدها عاليا ملقية إياها على سطح أحد البيوت ليفتح الصبية عيونهم بصدمة شديدة صارخين في صوت حاد :

- يا معلم هيما

رفعت براءة حاجبها تربع يدها بلا اهتمام :

- ايه يعني فاكرني هخاف ولا إيه؟ ده انا ممكن امسك المعلم هيما ذات نفسه !!!!!

قاطع كلامها خروج مراهق ضخم الجسد من أحد المنازل صائحا:

- فيه إيه ياض منك ليه مش قولت استنوا هخلص اكل واجي

صاح أحد الصبية مشيرا لبراءة التي بدأت تعود للخلف بريبة :

- الست دي يا معلمي شطحت الكورة بتاعتك

التفت ابراهيم سريعا لبراءة ناظرا لها بشر لتنفي براءة باصبعها هامسة بثبات :

- كداب يا معلم هيما ده هو اللي شطحها

صرخ بها الصبى الصغير بوقاحة :

- انا مش كداب يامعلمي ده هي اللي كدابة حتى اسأل الكل

أشارت له براءة تصيح بغضب :

- بس يا كداب، ده هو يا معلم هيما اللي رماني بالكرة ولما رجعتها ليه بكل هدوء قام مسكها عشان يضربني تآني فاتشطحت

انهت حديثها تخرج لسانها للصبى بشامتة لكن توقفت تستمع لصوت ابراهيم الغاضب :

- انا رجالتي عمرهم ما يكدبوا عليا، إنتِ اللي شطحتي الكورة صح؟

اعتدلت براءة في وقفتها بشجاعة مزيفة :

- ايوة انا هتعمل ايه يعني ياض ها لا فوق إنت وشلة الكتاكيت دي انا كنت بعلق العيال في البلد

أشار ابراهيم بيده في الهواء صارخا :

- جرا ايه يا بت انتِ بتطولي لسانك عليا ولا إيه ده إنتِ نهارك ملوش ملامح

تحدثت براءة بثبات ساخرة :

- ما شاء الله عليك عرفت منين؟؟ هو فعلا ملوش ملامح

ثم اقتربت منه دافعة اياه في وجهه قائلة:

- وامشي من خلقتي بقى عشان متعصبش عليك

شهق الجميع حولها لفعلتها تلك فقالت وهي تعلم انها ستندم :

- يلا بقى واللي يحصل يحصل

اقترب ابراهيم بخطوات بطيئة منها أثارت في قلبها الرعب لتعود للخلف سريعا تهمس لزين :

- مع تلاتة.... واحد.... آتنين..... تلاتة

انهت الحديث لتجذب يد زين راكضة بسرعة كبيرة خلفها الأطفال يلحقونها بينما زين لا يستطيع التوقف عن الضحك..

دخل فرج للمنزل بتعب شديد يحاول أن يتمالك نفسه ألا ينهار، حقا أخيه يستحق وقفة تعظيم له لما كان يفعله مع أهل هذه القرية الغريبة، مشاكلهم لا تنتهي أبدا فكلما غمز أحدهم للآخر يتشاجرون على هذه الغمزة.

انتبه فرج على أخيه يجلس بقلق في بهو المنزل ليتقدم له بتعجب هاتفا:

- رياض ايه اللي نزلك من سريرك

ثم نظر لزوجة أخيه قائلا :

- ايه يا سماح مش الدكتور وصى انه ميتحركش من السرير

زمت سماح شفتيها بضيق لتنهض قائلة بتبرم :

- اهو عندك اخوك اهو أقنعه انت لو تعرف

نظر لها فرج بعدم فهم ليتحدث :

- فيه إيه يا رياض ايه اللي نزلك ومالها سماح؟

قال رياض بقلق لاخيه :

- زين يا فرج بحاول اتصل بيه بس مش بيرد، انا قلبي واكلني على بنتي يا فرج

زفر فرج براحة :

- يا أخي وقعت قلبي انا قولت فيه مصيبة، اكيد مشغولين او مش عارفين يتصلوا يعني

هز رياض رأسه رافضا تخمين أخيه :

- لالا يا فرج مش عارف ليه قلبي واكلني اكيد فيه حاجة حصلت ليها او هتحصل

ضحك فرج ليهوّن على أخيه :

- ايه بس يا رياض اللي حصلت او هتحصل هو بالعافية بعدين دلوقتي هتلاقي زين بيتصل بيك ويطمنك

صمت رياض قليلا يحاول أن يهدأ ليقول بعدها :

- طب وعزيز؟؟

انتبه له فرج ليعتدل في جلسته مردفا :

- ماله عزيز! ؟؟

وضح رياض حديثه بقلق :

- هو كمان موبايله مقفول ومش ظاهر تفتكر يكون عرف حاجة ومش عايز يبلغنا

ابتسم فرج لينهض من مكانه متجها لاخيه :

- يا رياض ريح قلبك شوية بلاش القلق ده، تلاقي نسيوا ولا حاجة بعدين عزيز يكون انشغل في الكرتون بتاعة ده

ضحك رياض بخفوت على حديث اخيه ليبتسم له فرج :

- ايوة كده اضحك ومتقلقيش بإذن الله تلاقيها بخير دلوقتي وبتنطط كمان

كانت براءة تركض مع زين في الحارة بسرعة كبيرة حتى توقفوا في إحدى الشوارع الجانبية بتعب ليتنفس الاثنان اردف زين بانفاس لاهثة :

- يخربيتهم قطعوا نفسي ده انا طول عمري بجري من عصابات وعمري ما تعبت كده

ضحكت براءة عليه من بين أنفاسها بصعوبة لتهتف :

- العيال عليهم صحة يا جدع بومب

ابتسم زين متأملا ضحكتها بانشداه كبير ليبتلع ريقه مقتربا منها محاصرا اياها في أحد الأركان في ذلك الشارع الضيق والذي ينتهي بجدار

نظرت له براءة بتعجب من نظراته تلك ليبتسم لها مقتربا أكثر حتى أصبح لا يفصله عنها الكثير وكاد يفتح فمه متحدثا ليتفاجئ الاثنان بنافذة مجاورة لهم تفتح ليسمعوا شهقة عالية لسيدة تصرخ :

- يا مصيبتي بتعمل ايه منك ليها؟

اغمضت براءة عينها بخجل شديد بينما نظر زين للسيدة قائلا ببسمة غبية :

- هتصدقيني لو قولتلك اني والله ما كنت هقل ادبي

لوت السيدة فمها بسخرية :

- أمال كنت هتعمل ايه يا ضنايا هتكبر في ودانها ولا إيه؟؟

ابتسم زين بغباء :

- حاجة شبه كده

دخلت السيدة للمنزل لتغلق النافذة بعنف هاتفة بنزق :

- استغفر الله العظيم ربنا يسترها علينا يارب

نظرت براءة النافذة بصدمه لتقول بصوت عالي :

- ده جوزي على فكرة

فجأة فتحت السيدة النافذة لتقول :

- اكيد ضاربين ورقتين عرفي صح؟

نظرت براءة بتعجب لتقول :

- تصدقي بالله اما سكتي لادخل انا اضربك

شهقت السيدة باستنكار لحديث براءة لتضرب جوانب جسدها :

- نعم ياختي تضربي مين يا عسلية؟؟

ضربت براءة كف بكف في حركة شعبية :

- اضربك إنتِ يا قمر

قاطع ذاك الشجار صوت أحد يأتي من خلف السيدة هاتفا:

- جرا ايه يا سماسم هو كل يوم اجي اشدك من خناقة

نظرت براءة لذلك الصوت الذي تعلمه جيدا لتتصنم محلها بصدمة :

- المرحومة؟؟

نظرت صاحبة الصوت لبراءة لتقول ببسمة وفمها ملئ بالطعام:

- الاه، إنتِ جيتي؟؟ ده انا فكرتك طمعتي في ٥٧٦ جنيه والبطاقة

نظرت براءة للفتاة لا تستوعب انها هي نفسها عاملة المول :

- إنتِ عايشة؟؟؟

ابتسمت الفتاة بغباء مرددة بيننا تتناول طعام بشراهة :

- أصل بعد ما انتِ مشيتي فضلت قاعدة في البروفا لغاية ما سمعت صوت هدوء برة فخرجت بسرعة ملقتش حد في المكان ولقيت النسوان متكتفه ففكتهم وجرينا لتحت اتاريهم كانوا سايبنهم عشان بيجهزوا للانفجار

انهت حديثها بنبرة حزن شديدة لتهز براءة رأسها بتفهم وتمد يدها بالأموال والبطاقة لتسمع صوت السيدة هاتفة بامتعاض :

- هو مش انا قولتلك يا منيلة انتِ بلاش تصاحبي اي حد، تقومي تصاحبي البت دي

صرخت براءة بردح :

- مالها دي يا طنط بمشي على أيدي ورجلي ولا بتلات عيون

جذبها زين للخلف محاولا تهدئتها لتصرخ :

- سيبني كده بس عشان هطلع بكرشها في أيدي

قالت السيدة ببسمة مستفزة :

- سيبها يا خويا لما نشوف هتعمل ايه

تحركت براءة بعنف أثناء جذب زين لها :

- اوعى يا عباااسط كده دي بتقول مش هعرف حاجة دي مشافتنيش وانا بنتف شعر نسوان البلد واحدة واحدة

ضحك زين على حديثها وقد تمكن من سحبها خارج الشارع وصوت السيدة يصل لهم فيزيد من غضب تلك التي بين يديه

زفر زين بتعب وقد وصل للسيارة ليتركها تقف وقد اخذت تهدأ نفسها ليسحبها خلفه للسيارة :

- خلاص هديتي

هزت براءة رأسها نافية تنظر من النافذة بغيظ شديد :

- انا فعلا هستريح لو سبتني دلوقتي اقوم اجبها من شعرها الست دي

ضحك زين مربتا على كتفها ليقول بهدوء :

- براءة حاولي تتحكمي في أعصابك مش كل حد يضايقك بكلامه تهبي فيه زي البوتجاز كده

قالت براءة بانتباه ويبدو انها تذكرت شئ :

- متفكرنيش ده فيه بنت فاتحة محل هدوم في السوق هموت وارجع امسح بيها بلاط المحل

هز زين رأسه بيأس عليها ثم قال يبحث عن هاتفه :

- براءة معلش شوفي تليفوني عندك كده؟

بحثت براءة عن هاتفه ولم تجده فزفر زين بضيق :

- ممكن يكون وقع مني وقت الانفجار

ضحكت براءة بخفوت قائلة :

- معلش الحمدلله جات على قده يبقى هات واحد تاني قصدي تالت وهاتلي انا كمان واحد معاك خلي عندك دم

ضحك زين بسعادة شديدة لخروجها من حالتها :

- حاضر عيوني، تحبي ناكل اى حاجة الأول قبل ما نرجع ؟

وبلا تردد هزت براءة رأسها قائلة بجوع شديد :

- ياريت يا زين والله هموت من الجوع

ابتسم لها زين ثم قال يتحرك لأحد المطاعم راجيا من الله أن يمحي ذلك اليوم من ذاكرتهم :

- عنيا هاخدك لأحسن مطعم هنا، بس خلينا بقى نسأل في الشوارع على المطاعم.

أنهى حديثه ينطلق بسيارته بحثا عن اى مطعم يقابله، ومرت ساعة تقريبا وهو يدور في المكان حتى وجد مطعم واخيرا فتوقف يقول ببسمة :

- واخيرا كنت بدأت افقد الامل والله

ضحكت براءة قائلة وهي تهبط :

- بدأت أشك إن الناس هنا عايشة على البناء الضوئي أساسا

ضحك زين وتبعها حتى دخلوا للمطعم فتحت براءة فمها ببلاهة مرددة :

- اللهم صلي على النبي، ده متحف ده ولا مطعم؟

ابتسم زين على تعبيرات وجهها وفجأة وجدوا أحد عمال هذا المكان يتقدم منهم يرمق ملابسه بريبة قائلا ببسمة حاول رسمها :

- أتفضل يا فندم اساعدكم ازاى؟

مالت براءة على زين هامسة له :

- البداية دي انا عارفاها كويس اوي

تذكر زين تلك المرة التي اخذ فيها براءة للمطعم ليبتسم للعامل قائلا بلباقة عالية :

- عايزة طاولة لاتنين لو سمحت بس تكون في مكان هادي

هز العامل رأسه بايجاب ثم اصطحبهم لطاولة بعيدة نسبيا عن الجميع يقول بترحيب :

- ثواني يا فندم والمنيو يكون عند حضرتكم

بعد رحيله اقتربت براءة سريعا من زين تقول بقلق :

- واد يا زين المكان شكله غالي يا حزين ده احنا ممكن نكمل اكلنا غسيل مواعين

ضحك زين بصخب يحاول التماسك :

- يا ستي متقلقيش معايا فلوس

اقتربت براءة بشك تنظر إليه ثم همست :

- إنت هتستهبل ياض مش بتقول موبايلك وقع منك في الانفجار أمال الفلوس موقعتش ليه؟ اتشعبطت في الهدوم ولا إيه؟

ضحك زين يبعد وجهها قائلا:

- اهدي يابنتي شوية انا كنت شايل فلوس في العربية غير إن الفلوس اللي كانت في الهدوم فعلا موقعتش.

هزت براءة رأسها بتفهم لتصمت قليلا ثم نهضت هاتفة :

- هروح الحمام اعدل نفسي عشان اللبس بتاعي اتبهدل

هز زين رأسه بإيجاب لينظر لاثرها بشرود يفكر في شئ ما حتى قاطع أفكاره صوت النادل يقترب منه حاملا زجاجة مياة كبيرة ليفتح زين عينه بفزع متذكرا ما حدث آخر مرة ليهتف بفزع أثناء وضع النادل الزجاجة:

- لاااا

عاد رائد ومن معه للخلف برعب ينظرون للمسدس الذي يحمله عزيز، فأبتسم عزيز بسمة مخيفة يصرخ بهم :

- جرا ايه منك ليه، اوعوا تكونوا مفكرني اهبل ومش هعرف ادافع عن نفسي، لا اصحوا ده انا قبل ما اكون راجل أعمال كنت عربجي ياض منك.

نظر رائد بشر لرجاله يصرخ بهم :

- ازاى معاه سلاح يا متخلفين؟؟ محدش فتشه؟

تحدث أحد الرجال بخوف من غضب رائد :

- ياباشا إحنا قولنا راجل كبير في السن وبعدين كان شكله عبيط أساسا

صرخ عزيز بغضب أعمى يرفع المسدس تجاهه :

- اخـــــــــــــــــرس ، مين اللي عبيط ياض؟ ده انا اصيع منك ومن حرامي الشباشب اللي مسرحك

تحدث رائد بتحذير مشيرا باصبعه لعزيز :

- نزل المسدس يا عزيز عشان انت اللي هتتأذى في الاخر

ضحك عزيز بصخب وسخرية ثم قال مقلدا أحد افلام الكرتون المفضلة عنده :

- انا بضحك في وش المخاطر، ارجع ورا كده بقى يا حبيبي واعملولي طريق عشان اعدي

عاد رجال رائد للخلف برعب مفسحين له طريق فنظر لهم رائد بعدم تصديق صائحا :

- إنتم بتنفذاو أوامره ومفكرين إنه هيضرب نار بجد، ده عزيز

تحدث مجد بقلق يعود للخلف :

- متنساش عزيز ده يبقى ابو مين يا رائد، اكيد ابنه معرفه كل حاجة

قال عزيز يهز رأسه مؤيدا مجد :

- آيوه فعلا الواد المعفن ده عنده حق زين عرفني كل حاجة وبعرف انشل كويس

هتف رائد بسخرية من حديث عزيز مصححا كلمته :

- تنشن؟

رد عزيز بعدم اهتمام وهو مازال يشهر سلاحه في وجههم :

- سيان، ودلوقتي بقى يا حلو الملامح منك ليه وسعولي طريق

في ذلك الوقت دخلت شريفة تقول دون الانتباه لما يحدث :

- رائد ل....

توقفت عن الحديث بصدمة تجد ذلك الرجل يشهر سلاحه في وجه الجميع مخيفا اياهم فعادت للخلف برعب ترفع يدها :

- هو فيه إيه؟

تحدث عزيز بجدية وصرامة يشير لشريفة :

- بقولك ايه هاخد البت دي برضو

نظر له رائد بحاجب مرفوع وسخرية فقال عزيز يحاول الاحتفاظ بمظهره الشرس :

- كرهينة لغاية ما اطلع من هنا يعني

ارتعبت شريفة منه ثم نظرت بتعجب لرائد منتظرة تدخله في الأمر خوفا من عزيز ظنا أنه خطر :

- انت هتسيبه ياخدني بجد؟ اتصرف يا رائد معاه

قال رائد بسخرية لاذعة فهو اكثر من يعلم عزيز :

- متقلقيش يا شوشو ده آخره لو اخدك هياخدك ديزني لاند.

تحدث عزيز بغضب لأنه يسخر منه فقال بأعتراض :

- متصدقهوش يا شوشو انا ممكن اخدك الساحل برضو على فكرة

أشار رائد لعزيز ببسمة ساخرة ولسان حاله يقول (ألم أخبرك؟)

استغل أحد رجال رائد الموقف واقترب بسرعة من عزيز وامسك يده التي تحمل المسدس وأخذه منه ففتح عزيز عينه بصدمة بينما ابتسم ذلك الرجل بشر يرفع السلاح في وجهه عزيز صائحا بغضب :

- بقى إنت تهددنا؟ انا بقى هوريك

فتح عزيز عينه بصدمة وارتجفت اوصاله يعود للخلف بخوف بينما رائد نظر بغضب لذلك الرجل ولم يكد يصرخ به أن يتوقف حتى وجده يضغط على الزناد ليسقط بعدها عزيز أرضا بقوة، فتح الجميع عينه بصدمة مما حدث، مرت ثواني استوعب فيها رائد ما يحدث فذهب لذلك الرجل وأخذ منه السلاح يدفعه بعنف ثم اطلق رصاصة مرة أخرى في الهواء لكن لم يخرج رصاص بل خرج ماء فقط.

تشنج رائد بعصبية ثم نظر للرجال بغضب وبعدها نظر لعزيز الذي كان يدعي الموت أرضا يفرد ذراعيه بجانبه ويغمض عينه ويخرج لسانه بطريقة مضحكة ، صرخ رائد بغضب جحيمي ينظر لعزيز :

مســــــدس مايـــــــــة؟؟

فزع النادل من صراخ زين ليتراجع سريعا للخلف محدقا فيه بعدم فهم ليشير زين للزجاجات قائلا :

- لو سمحت شيل المايا من هنا

رمقه النادل باستنكار :

- اشيل ايه يا فندم مش فاهم

أشار زين للمياة محذرا :

- صدقني ده عشانك وعشان المطعم لو خايف على سمعته

نظر النادل لزجاجات المياة بعدم فهم ثم نظر بعدها لزين :

- مش فاهم ايه علاقة المايا بسمعة المطعم؟؟

كاد زين يتحدث موضحا ليلمح براءة تقترب منهم فيضع الزجاجة مجددا على الصينية قائلا يغمز له :

- معلش طاوعني وخد الإزازة دلوقتي

لم يفهم النادل حديث زين ليجد براءة تقترب منهم ترمقهم بشك :

- فيه إيه؟؟ طلبت يا زين؟

نظر لها زين وهي تجلس بجانبه ليقول ببسمة :

- كنت مستنيكي ونطلب سوا

ابتسمت له براءة لتنظر للنادل وهي على وشك التحدث لتنتبه للزجاجة فتضيق ما بين حاجبيها :

- ايه الإزازة دي؟؟

نظر لهم النادل وقد تأكد الان بأنهم مجانين وكاد يجيبها ليقاطعه زين :

- دي آه ده سڤن اب بس انا قولتله يرجعه ويجيب بيبسي احسن مش إنتِ بتحبي البيبسي برضو

نظرت له براءة لتبتسم ساخرة :

- مفكرني هبلة يا زين؟ دي ماية صح؟؟

أجاب النادل بعدم فهم من حديثهم الذي يظهر له مبهم :

- ايوة ماية هو فيه حاجة حضرتك يعني هل الاستاذ عنده فويبا من الازايز مثلا اجيبها في كوباية

نظرت له براءة بتركيز :

- ايوة فعلا خد الإزازة دي وهات كوباية ماية من الحنفية أصل الدكتور قاله اشرب ماية من الحنفية عشان غنية بالمعادن والفيتامينات والميكروبات

فتح النادل فمه ليجيب لكن قاطعه زين قائلا بتحذير :

- أتفضل لو سمحت خد ازازة المايه وهاتلنا المنيو

انصرف النادل بصمت ظنا منه أنهم مجانين

نظرت براءة لزين بفخر تربت على كتفه :

- حبيبي اللي بيتعلم بسرعة.... ماما فخورة بيك يابني

نظر زين لبراءة بحنق :

- مبسوطة دلوقتي حضرتك

عادت براءة بظهرها للخلف قائلة ببسمة :

- آوي آوي آوي متتخيلش مبسوطة ازاى... شايف وشك نور ازاى لما مفتحتش الازازة

ابتسم زين عليها يمسك يدها بحنان لينظر لها نظرات جعلت قلبها يهتز بخوف :

- فيه ايه بتبصلي كده ليه؟؟

ابتسم لها ولم يجيب فقالت بشك :

- بسمتك دي مش مطمناني، انت هتعمل مصيبة صح؟؟ انطق قول بتفكر في إيه؟؟؟؟

ضحك زين بصخب عليها ليقول بعدها بنبرة غامضة :

- نهاية الحكاية دي يا براءة.. بفكر في النهاية لان الموضوع طول آوي...

(الفصل السادس)

نظرت حياة للغرفة فوجدت وائل يخرج بعد أن بدل ثيابه جلست تدعي الهدوء، بينما هو اقترب منها ينظر لها بشك فملامح البراءة على وجهها تلك ليست طبيعية البتة، قال وهو يجلس على الاريكة :

- فين يحيى؟

قالت تتنهد براحة :

- الحمدلله نام بعد معاناة كبيرة آوي

هز وائل رأسه بايجاب ثم جلس دون أن ينتبه أين يجلس وامسك جهاز التحكم بالتلفاز ليشاهد شئ ما لكن شعر أنه يجلس على شئ غريب، فكان هناك شئ لزج اسفله، نظر جهة حياة وجدها تنظر بتأمل لاظافرها، كرمش ملامحه بشك ونهض ببطئ ينظر أسفله فوجد إحدى حفاضات صغيره والتي يبدو أنها مستعمله، انكمشت ملامحه بتقزز شديد وكاد يتقيأ، لكنه انتبه على الضحكات التي تصدر من حياة الجالسة بجانبه، فوجدها تجاهد لتكتم ضحكتها لكن فجأة لم تعد تحتمل فانفجرت في الضحك وهي تشير له :

- شوف الواد يحيى بيسيب اشيائه في كل حتة ازاى؟

ابتسم لها وائل بسمة باردة قليلا ثم قال وهو يقترب منها :

- يحيى؟؟

نهضت حياة تعود للخلف وتتجهز للهرب سريعا لكن في ثواني امسك وائل ذلك الحفاض والقاه عليها سريعا فأرتطم بوجهها، مما جعل حياة تبعده سريعا صارخة:

- يا أخي كده هحتاج جاز، الله يسامحك

لم يفهم وائل حديثها، فما علاقة الجاز بالحفاض، لكن صدم عندما نزعت الحفاض عن وجهها وجد وجهها تحول للون الأحمر، أنكمشت ملامحه بدهشة واقترب منها قريب ثم شمّ تلك المادة اللزجة على وجهها وتبين انها دهان جدران فقال بنبرة خطيرة :

- دهان؟؟ حاطة دهان في البامبرز(حفاضة)؟

ابتسمت بغباء قائلة تعود للخلف بخوف :

- آه آه أصل هو كنت يعني بلعب انا ويحيى فهو..

قاطعها وائل يركض خلفها صارخا بغضب :

- يحيى بيلعب بالدهان و بيحطه في البامبرز؟

ركضت حياة وهي تصرخ برعب :

- كنت بهزر معاك والله، كنت بهزر

انطلق لها وائل وامسكها بسرعة قبل أن تهرب وقال بشر :

- انا بقى هوريكي الهزار

ولم يكد يُقدم على فعل شئ حتى سمع صوت دق على الباب.

(عام ٢٠١١)

كانت نظرات سوسيتا تدور في المكان باشمئزاز، لم تعد تتحمل هؤلاء الأشخاص ولا هذه التصرفات، ملّت أن تدعي السعادة فقط من أجل حفنة من الأموال.

أنتبهت من شرودها على صوت المرأة التي تتولى هذا المكان كله والتي تعمل لديها :

- جرا ايه يا سكر هو احنا بندفعلك فلوس عشان تقعدي تتأملينا ولا إيه؟

لثواني فكرت سوسيتا أن تتجاهلها لكن لم تتمكن من ادعاء اللامبالاة اكثر خاصة حينما استمعت لتلك السيدة تهتف :

- يلا اتنيلي اجهزي عشان رائد خرج من السجن هو والرجالة ولازم نريحهم على الآخر

شعرت سوسيتا بدمائها تصل لحد الغليان في عروقها ترمق تلك السيدة المقيتة بكره شديد :

- بس كده؟ ده أنا عيوني لرائد باشا هو أنا أقدر انسى افضاله

ضحكت السيدة بتغنج وهي تسير مبتعدة :

- ماشي يا ختي اجهزي بقى ووريني شطارتك

راقبت سوسيتا رحيل تلك السيدة التي تدير الملهى الذي تعمل به بتوصية من رائد بالتأكيد، همست لنفسها بغضب أعمى :

- ده انا هجهزله واظبطله أحسن ليلة..... ليلة العمر

دخل رائد وخلفه مجموعته بعد أن خرجوا من السجن، ففي تلك الليلة التي تشاجروا فيها مع زين تم القبض عليهم جميعا والحكم عليهم بعدة سنوات، لكن للحق لم يحزن رائد على تلك السنوات أبدا فهو دخل للسجن معدم لا يملك سوى بضعة قروش، خرج منه فاحش الثراء يمتلك نصف المدينة، ذلك بالطبع بفضل أحد الرجال الذين قابلهم في السجن وعندما خرج ذهب للعمل معه في تجارة الممنوعات وحصّل ثروة مهولة جراء ذلك.

اقترب رائد من الطاولة الخاصة بهم وجلس عليها، نظر حوله ببسمة مقززة محاولا إيجاد اى متعة جديدة له حتى وقع نظره على سيدة هذا المكان كله تتقدم بخطوات رشيقة منهم، جلست بجانب رائد تميل على اذنه :

- نورت المكان كله يا رائد باشا

ابتسم لها رائد بسمة خبيثة ينظر حوله :

- واضح إن فيه وجوه جديدة هنا يا شوشو

ضحكت شريفة ضحكة عالية تقول :

- هنا هتلاقي كل جديد ياباشا إنت بس شاور كده وهتلاقي كل حاجة بقت تحت رجليك

صمت رائد قليلا ثم قال بهدوء مخيف :

- سوسيتا فين؟

زفرت شريفة بضيق وهي تحرك يدها في الهواء بعدم اهتمام :

- دي عيلة خنيقة انا مش عارفة مستحملاها ليه أساسا؟

ضحك رائد ينظر لعيونها :

- عشاني يا شوشو

علت ضحكات شريفة ضاربة على كتفه بمزاح :

_ وده اللي مصبرني يا عيون شوشو

هز رائد رأسه وهو ينظر حوله :

- طب هي فين؟

تحركت شريفة من جانبه تردد :

- في اوضتها بتجهز

راقب رائد انصراف شريفة ثم نهض سريعا بحثا عن سوسيتا، استمر بحثه دقائق حتى عثر على غرفتها، فتحها بسرعة دون أن يستأذن حتى.

كانت سوسيتا تقف أمام المرآة تهندم من ثيابها وهيئتها، فجأة شعرت بأحد يفتح الباب بعنف، استدارت سريعا لتعنفه لكن وجدت رائد يقف أمامها يرمقها بنظرات أثارت في نفسها اشمئزاز، أخذ يتقدم منها :

- سوسيتا القمر ايه ما وحشتكيش ولا إيه؟

عادت سوسيتا للخلف برعب، تنظر حولها لعلها تجد ما ينقذها لكن قاطع رائد نظراتها تلك مقتربا منها اكثر هامسا لها :

- بس انا بعتب عليكي يا سوسو بقى كل السنين دي في السجن متجيش تشوفيني ولو حتى بعيش وحلاوة

نظرت له سوسيتا بدموع محاولة دفعه بعيدا عنها، لكنه أبى ذلك حتى مدت سوسيتا يدها بسكين والذي كانت تخبئه في ثيابها دائما تحسبا لاي موقف، ضربت السكين بعنف في معدته تهمس له بحقد شديد وغضب :

- سلام ياباشا

نظر لها رائد بصدمة فآخر ما كان يتوقعه أن تقدم سوسيتا على فعل كهذا، سقط أرضا ينظر لها بصدمة لكنها لم تمنح نفسها الوقت للتفكير بل سريعا فتشته وأخذت كل ما معه وخرجت من غرفتها متجهه للباب الخلفي مبتعدة عن ذلك المكان الذي عاشت فيه سنين وتعلم جيدا أنه سيترك بصمة في حياتها.

(في الوقت الحالي)

نظر عزيز حوله بريبة خوفا أن يراه أحد وهو يخرج هاتفه الآخر والذي كان دائما يضعه _ بأمر من زين _ في حذائه مستغلا حجمه الصغير جدا، أخرجه سريعا ينظر حوله بتوتر ثم قام بالاتصال على رقم زين الاخير، لكن لارد أعاد الاتصال مجددا وايضا لا رد، زفر بضيق محاولا تذكر اسم ذلك الشاب الذي اخبره زين انه يسكن عنده، فزين يسجل لوالده جميع الأرقام الشخصية لوحدته الخاصة تحسبا لأية ظروف، حاول عزيز التذكر لكن لم يستطع لذا فكر أن يبحث في الأسماء لعله يتذكر الاسم أثناء بحثه، بالفعل بدأ يبحث في الأسماء كلها دون جدوى فهو لم يتذكر أيًا من هذه الأسماء حتى وصل لاسم وائل، صرخ بحماس يتذكر ذلك الاسم الذي سمع ابنه يذكره له كما أن هذه الأرقام تبدو مألوفة له اذا لابد أن هذا هو الرقم الذي حدثه زين منه أول مرة.

بلا تردد أجرى عزيز اتصال بالرقم داعيا أن يجيب ذلك الشاب عليه وبالفعل شعر بقلبه يقفز فرحا وهو يستمع لصوت شخص يجيب عليه:

- الو.....

سمع كلا من وائل وحياة صوت طرق على الباب، اتجه وائل جهة الباب فاتحا إياه ليفاجئ بزين الذي ابتسم له :

- اتمنى مكنش جيت في وقت غير مناسب

افسح وائل المجال لزين حتى يعبر مرحبا :

- لا ابدا يا فندم أتفضل

دخل زين ينظر أرضا ثم رفع رأسه لوائل راغبا في قول ما أتى لأجله لكن قاطعهم صوت رنين هاتف وائل

أخرجه وائل ينظر للرقم الغريب ذاك مجيبا :

- الو

ابتسم عزيز من الجانب الاخر بأمل يقول بسرعة :

- الو، وائل معايا؟

قال وائل بجدية وصوت جامد بعض الشئ:

- ايوة انا أتفضل

نظر عزيز حوله بقلق مرددا بخفوت:

- انا عزيز الهلالي، ابو زين

ردد وائل الاسم بتعجب لاتصاله به هو بدلا من ولده :

- عزيز الهلالي

انتبه زين بسرعة لاسم والده فاقترب نازعا الهاتف من وائل :

- عزيز؟؟ كنت لسه هتصل بيك عشان تليفوني و...

قاطع حديثه صراخ عزيز بصوت منخفض :

- أخرس يا عاق رايح تصيف وتهيص وسايبني وراك وكل اللي ليه حق عندك بيجي ياخده مني يا زبالة انت، بقى انا اتثبت واتخطف وانت ولا على بالك، بس لما اشوفك انا هطلع عليك كل اللي شوفته

قاطعة زين بصراخ كاد يصمه :

- اتخطفت؟؟ مين اللي خطفك يا عزيز؟

قال عزيز بتذمر وحنق ناظرا حوله لذلك المكان المقزز:

الواد حرامي الشباشب هو اللي خطفني الزبالة العرة ده انا كنت بديله حلويات ومش بديك مهانش عليه العشرة، سبحان الله نفس الندالة بتاعتك اتفوو على تربيتكم

صاح زين بنزق من تصرفات والده الغير مسئوله في هذه المواقف والتي يتصرف فيه وكأنه برحله :

- يا عزيز ارحم امي الميتة يا أخي واتكلم كلام مفهوم مين اللي خطفك وحصل ازاى قول اى حاجة اقدر اساعدك بيها

زفر عزيز بضيق لا يعجبه صراخ ابنه به :

- اولا لو سمعتك بتزعق ليا تاني انا هقفل السكة في وشك انت فاهم

دخلت براءة المنزل لترى ما الذي عطل زين هكذا لكن فزعها صراخ زين الجنون في الهاتف :

- تقفل السكـــــــــة هو انـــــت بتهـــــزر؟

انت مفكر نفسك فين يا عزيز انت مخطوف فوق بقى الله يهديك يا أخي قولي مين اللي خطفك؟

اقتربت منه براءة بسرعة بخوف عليه من صراخه، ربتت على كتفه برعب :

- فيه إيه اهدى بس كده ايه اللي معصبك؟

تحدث عزيز وقد وصل إليه صوت براءة :

- طبعا هايص مع الحتة بتاعتك ولا على بالك ابوك اللي بيتعذب هنا دول حتى مرضوش يسيبوا شوشو تقعد معايا تسليني

صرخ زين به وقد نفذ صبره :

- شوشو ؟ شوشو ايه دي؟؟ بعدين بيعذبوك ازاى مش فاهم؟؟ ياريت يا أخي يدوك فولتين كهربا يمكن يفوقوك وت.....

لم يكمل زين حديث بسبب إغلاق المكالمة بوجهه فقال بعدم استيعاب:

- ده قفل في وشي بجد؟ ده مفكر انه في رحلة ولا إيه ده مخطوف؟؟

حاولت براءة كتم ضحكتها فهذا ليس موقف تضحك به لكن حقا والد زين قد تخطى حدود العقل، اقتربت منه قائلة :

- يمكن رصيده خلص او الشحن، التمس ليه عذر

صرخ بها زين بجنون لا يستوعب مع اى نوع من البشر يعيش :

- رصيده خلص ايه ده هو اللي قفل انا عارفه

مسح وجهه بغضب شديد ثم أعطى الهاتف لوائل مخرجا هاتفه الجديد ليتصل بعزيز مجددا فسمع صوته وهو يجيب بكل برود كأنه يستقبل مكالمة في مكتبه وليس مكالمة تعتمد عليها حياته أثناء خطفه :

- الو معاك عزيز الهلالي، مين معايا؟

قال زين بسخرية لاذعة من نبرة والده التي يتحدث بها :

- حضرتك كنت طلبت أوردر بيتزا فراخ يافندم؟

اجابه عزيز بنبرة جادة وكأن الأمر ليس خطيرا :

- لا، هو أنا مطلبتش بس عادي لو جايب أوردر ممكن استلمه انا وخلاص

نظر زين حوله للجميع باعصاب تكاد تنفجر ثم هتف بسخرية لازعة :

- ويا ترى ممكن اعرف العنوان اللي حضرتك فيه؟

نظر عزيز حوله بعدم معرفة :

- بص هو أنا معرفش انا فين بس هنادي واحد من اللي خطفوني ي....

قاطعه زين بنبرة مرعبة وهو يسير في المكان بغضب :

- قسما باللي خلقني يا عزيز اما نطقت وقولت مين اللي خطفك لاكون راجع البيت مولع في كل لعبك وهدومك.

صاح عزيز بلهفة وبسرعة كبيرة فهو يعرف أن زين لا يمزح يمكن أن يدمر لعبه العزيزة بكل قلب ميت :

- لا والله هقول هقول، الواد حرامي الشباشب اللي كان اسمه رائد الدميري صاحبك

في الواقع كان زين يتوقع هذا ولكن أراد فقط أن يتأكد فهو لديه ما يكفيه من الأعداء الذين قد يقدموا على أمر كهذا :

- تمام يا عزيز خبي التليفون كويس اوعى حد يشوفه وحاول متعملش مشاكل ولا تستفزه، اياكش اجي الاقيك سليم

كاد زين يغلق لولا صوت عزيز الذي قال بسرعة :

- زين لو لمست حاجتي انا هقول لرائد على مكانك

أنهى كلامه ثم أغلق المكالمة تاركا زين يفتح عينه بصدمه وهو يهمس لنفسه :

- هيبعني عشان جذمة سندريلا، وطربوش الفار الطباخ وبوكسر سوبر مان

تحدث ذلك المجهول في الهاتف لرائد :

- انا عارف إن زين لسه عايش

جاءه صوت رائد المتعجب :

- من امتى؟ شوفته انت كمان في الاخبار؟

ضحك ذلك المجهول قائلا :

- من بعد ما عملوا ليه عزا في البلد وانا عارف انه عايش

وصله صوت رائد الذي قال بغيظ شديد :

- وانا معرفش الموضوع ده ليه؟

تحرك ذلك المجهول من مكانه امام صورة مؤمن مرددا بنبرة باردة :

- لأن خلاص مبقتش محتاجك في لعبتي

ظهر صوت رائد الغاضب وهو يقول :

- يعني إيه مبقتش محتاجني هو لعب عيال ولا إيه؟

صرخ ذلك المجهول بصوت مرعب :

- متخلنيش ادخلك ضمن لعبتي، اتقي شري احسن، ومن دلوقتي زين الهلالي يخصني انا

أنهى حديثه يغلق الهاتف ثم أجرى مكالمة أخرى يقول بها :

- ابو زين يكون عندي خلال ساعات

في الجانب الاخر القى رائد الهاتف بغضب شديد وهو يصرخ بحقد شديد :

- مش رائد الدميري اللي يتهدد يا....

صرخ رائد بصوت عالي فجاء إليه مجد، فقال له بغضب :

- الزفتة سوسيتا دي عملتوا معاها ايه

قال مجد خوفا ان يطاله غضب رائد :

- هي بس كان عندها ضعف لأنها مش بتاكل عشان كده اغمى عليها والدكتور كتبلها أدوية ومحاليل

هز رائد رأسه يرحل :

- طيب خليها تتنيل تفوق كده عشان نشوف هنعمل معاها ايه انا لسه ما خلصتش طاري منها، وتقب وتغطس وتجيبلي زين هنا

تحدث وائل لزين بانتباه شديد :

- هنعمل ايه دلوقتي يافندم، نستدعي القوات

رفع زين راسه لوائل قائلا بتفكير :

- هستدعي القوات ازاى يا وائل وانا معرفش مكانه فين انا محتاج افكر في الاماكن اللي ممكن رائد يكون فيها

تحدثت براءة تحاول المساعدة ولو بالقليل :

- طب ممكن يكون مخزن ليه بعيد عن النظر او فيلا في منطقة بعيدة

نظر زين امامه بشرود طويلا حتى قال بنبرة غامضة :

- او في الكازينو القديم

نظر الجميع لزين بتعجب، فنهض زين موضحا حديثه :

- الكازينو بتاع الرقاصة عشيقة رائد كان تقريبا مكان تجمعهم زمان

حاول وائل فهم ما يرمي إليه زين لكنه فشل في ذلك :

- ازاى ممكن يخبي شخص مخطوف في كازينو من غير ما حد من اللي بيروح الكازينو يحس بحركات غريبة؟؟

ابتسم زين بخبث وقد بدأ احساس قوي بأن والده هناك يتسرب إليه :

- لأن ببساطة الكازينو مقفول من زمان المفروض صاحبته اعتزلت الموضوع ده، بس إللي متأكد منه انها لسه مستمرة في مقابلة رائد

كان الجميع ينظر لبعضه بتوجس فالأمر لا يحتمل المخاطرة فخروجهم من هنا يعني أنه وقت المواجهة لذا يجب أن يكونوا متجهزين.

كان وائل أول من يقطع الصمت بسؤال يتبادر لجميع الاذهان :

- طب ولما نلاقي رائد هنعمل ايه؟ يعني هنهاجم لوحدنا!؟

هز زين راسه برفض موضحا خطته :

- هكلم القائد يسري وابلغه إني محتاج القوة عشان نشن هجوم بس بعد ما اتأكد

تحدث وائل يعلم أن الإجابة القادمة لن تكون جيدة :

- وحضرتك هتتأكد ازاى يا فندم؟؟؟

قال زين ببساطة وهو يحرك كتفه بعدم اهتمام :

- هراقبهم

صاحت براءة وهي تنهض متمسكة فيه :

- وانا معاك صح؟

نظر لها زين جيدا قائلا وهو يضغط على حروفه :

- انتٍ هتفضلي هنا عشان مش هكون ضامن اللي هيحصل وهنا امان ليكِ يا براءة اتفقنا؟؟ انا مش حمل اى ضغط تآني كفاية عزيز

نظرت براءة له بأعتراض وكادت تبدي اعتراضها الكامل لما يقول لكنه قاطعها بنبرة حاسمة :

- متجادليش يا براءة لاني مش هاخدك معايا مهما يحصل المرة دي هتكون الأخيرة قبل ما اقفل ملف رائد تماما ووقتها هرجعلك وهتاخدي بأيدي زى ما وعدتيني صح ؟

نظرت له بخوف تشعر أن القادم ليس بالهين أبدا ولكن لم يسعها سوى أن تهز رأسها موافقة إياه.

فاقت سوسيتا من الإغماء الذي أصابها لساعات قليلة تنظر حولها محاولة معرفة أين هي، فهذه ليست الغرفة التي كانت بها قبل أن تسحبها تلك الغيمة السوداء بعيدا.

فجأة وجدت الباب يفتح وأحدهم يدخل إليها ادعت سريعا النوم.

تقدمت شريفة من الفراش الذي يضم جسد سوسيتا ناظرة إليها بحقد شديد، انحنت شريفة بجانب اذن سوسيتا هامسة بغل :

- زمان وبسببك انتِ خسرت كل حاجة من بعد ما سيادتك ضربتي رائد بالسكينة و سمعة المكان عندي بقت في الأرض لإن الاستاذ رائد محبش يتهمك فقال انه حرامي وخرب عليا انا.

شعرت سوسيتا بنبرة جنون في حديث شريفة وخشيت أن تتهور لكن حاولت التماسك لعلها تمل وتخرج لكن شريفة أخرجت سكين من ثيابها:

- وزي زمان ما ضربتي رائد انا بقى هردها ليكي بس المرة دي هتأكد كويس اوي انك مش هتقومي منها

رفعت شريفة يدها عاليا ناوية أن تطعنها في معدتها، فتحت سوسيتا عينها بسرعة وصرخت عاليا متدحرجة بعيدا عن مرمى يدها لتهبط شريفة في الفراش.

دخل مجد سريعا وهو يستمع لصراخ سوسيتا فصدم لرؤيته ما تفعل شريفة لذا سريعا ركض لها وحاول أن يمنعها، هنا استغلت سوسيتا شجارهم سويا لتخرج من الغرفة هاربة منهم.

داخل الغرفة كانت شريفة تصرخ بجنون كبير أنها ستقتل سوسيتا سوف تنتقم منها لتدمير حياتها قديما لكن أثناء شجارها مع مجد على السكين،

شعرت بنصل حاد يخترق معدتها لتخرج منها شهقة عنيفة وهي تنظر لبطنها بصدمة كبيرة.

ابتعد مجد عنها برعب يشاهد دمائها تسيل اسفلها لتسقط شريفة أرضا وهي تنظر للسقف بوجع شديد، تشعر بروحها تنازع للبقاء ترفض الرحيل الان فهي لم تستعد بعد للرحيل لم تستعد بعد لتقف أمام الله، اغلقت عينها بوجع مودعة تلك الحياة التي لم تترك بها ولو أثر طيب واحد بل ملئتها شرور واشواك، لتكون تلك نهاية إحدى رؤوس الفساد في الأرض.

أثناء ركض سوسيتا كالمجنونة في ممرات ذلك المكان الذي تحفظه عن ظهر قلب وكيف لا وهي عاشت به اسوء سنين عمرها، لكن أثناء ركضها اصطدمت بجسد صلب لتعود للخلف برعب وهي تسمع صوت ذلك الشخص الذي جعل قلبها يكاد يتوقف وهو يقول :

- على فين كده يا سوسو لسه الليلة طويلة

وصل زين امام الملهى الليلي الذي كان سابقا ملكا لإحدى عاشقات رائد والان لم يعد مستخدما، كان زين حريصا على الاختباء بعيدا عن الانظار يحاول معرفة اذا ما كان هناك أحد في المكان أم أن تخمينه لم يكن صحيحا.

تنهد بضيق ينظر حوله لذلك الصمت المريب والذي يدل وبكل وضوح على عدم وجود أحد هنا ، ليته يستطع الاتصال بوالده ليتتبع المكالمة

وصولا إليه لكنه يخشى أن يكون رائد بجانبه ويعلم بامتلاك والده لهاتف إضافي، كما أنه حينما حادثه سابقا لم يتمكن من تتبعه او نسى ذلك للحق، فهو كان خائفا عليه كثيرا لدرجة جعلته ينسى ما تدرب عليه كله.

خرج زين من شروده على صوت حركات خفيفة تصدر من جانب الملهى، ركز بصره جيدا على نقطة معينة ليلاحظ أن هناك بعض الأشخاص يسيرون حاملين لجسد ما، حاول أن يدقق النظر اكثر فيهم لعله يحصل على شئ ولكن كان الظلام حائلا لما يريد، زفر بغضب شديد لفشله في معرفة ما يحدث وهل هؤلاء رجال رائد ام بعض المتسكعين لا أكثر.

خرج بعض الرجال من الباب الجانبي للملهى حاملين جسد شريفة والتي أصابت السكين منطقة حيوية لترديها قتيلة في ثواني، لحق مجد بالرجال حتى يتخلصوا من جثة شريفة، اتجه مجد لسيارته فاتحا اياها للرجال حتى يضعوا بها الجثة وكاد يصعد لولا سماعه لصوت حركات غريبة بالداخل فتحدث :

- روحوا انتم زى ما بلغتكم وانا هشوف ايه اللي بيحصل جوا

في نفس الوقت ابتسم زين بانتصار وقد تأكد أن هذا هو مخبأ رائد بسبب رؤيته لمجد لكن ترى ما هذا الجسد الذي يحملونه وإلى من يعود، توقف قلبه برعب مفكرا في احتمال أن يكون والده، ولكنه ابعد هذا التحليل فرائد ليس بالغبى ليقتل والده وهو يحتاجه للايقاع به أو هكذا تمنى .

في الداخل عند رائد كان يجذب سوسيتا بعنف لإحدى الغرف وصرخات سوسيتا تشق سكون الليل المحيط بهم

دخل رائد لغرفته والتي كانت ملكا لشريفة سابقا والقى بها سوسيتا بعنف قائلا :

- عايزة تهربي مني يا سوسو، شكلك نسيتي ايام زمان، ماشي يا غالية انا هفكرك بيها، استنيني وانا هوريكي

أنهى حديثه وهو يخرج تاركا اياها تبكي بعنف متوعدة إياه أن تذيقه الجحيم.

سار رائد في الممرات يحدث أحد رجاله قائلا :

- البت اللي جوا دي لا يوصل ليها ماية ولا اكل سامعين

ثم تركهم وهو يسير بغضب شديد لكن شعر بحركة غير طبيعية في المكان.

اتجه رائد تجاه منطقة المسرح في منتصف الملهى وهو يستمع جيدا لتلك الأصوات ناظرا حوله عله يجد شيئا لكن فجأة توقف يستمع لصوت خطوات في المكان، التفت سريعا باحثا عن مصدر تلك الخطوات لكن لا شئ، وضع يده على سلاحه متجهزا ومتحفزا لأى شئ لكن فجأة دون حتى أن ينتبه شعر بضربه عنيفة على رأسه ليسقط بعدها أرضا.

في الخارج تأكد زين من الأوضاع ولذا انطلق سريعا نحو وحدته الخاصة ليطلب من قائده الدعم حتى يهجم على رائد.

عادت براءة للمنزل بعدما استطاعت وبكل صعوبة أن تجعل وائل يتركها ترحل فهي لا تحب أن تزعج أحد بوجودها.

دخلت لغرفة زين ونظرت لفراشه بحنين ثم ألقت نفسها عليه، ودون ان تشعر كانت تسقط في النوم الشديد غير شاعرة بما يدور حولها.

دقات على باب المنزل جعلت براءة تنتفض في نومتها وهي تتنفس بعنف ناظرة حولها لتدرك أنها في غرفة زين، نهضت من الفراش سريعا تتجه للباب قائلة بخفوت :

- اكيد حياة

وصلت للباب وهي تفتحه مرددة :

- يا حياة قولتلك هنام لوحدي مش...

توقفت عن إكمال الحديث وهي ترى رجل غريب أمامها عادت للخلف خطوات قليلة بريبة وقلق قائلة :

- نعم حضرتك بتسأل على حد؟

ابتسم لها الرجل بسمة صغيرة ناظرا لها بمكر :

- ده بيت زين الهلالي؟؟

مدت براءة يدها لجيبها بحثا عن الهاتف لكنه لاحظ حركتها فتقدم منها قائلا :

- ملوش داعي انك تتعبي نفسك انا بس جاى لزين باشا وطالما مش موجود، يبقى ناخد اى حاجة من ريحته.

لم تكد براءة تستفسر عما يقصد حتى شعرت بقطرات رذاذ تتساقط على وجهها لتسقط أرضا ويكون اخر ما رأته هو وجه ذلك الرجل وهو يبتسم بسمة غير مريحة أبدا.....

***

(الفصل السابع)

دقات منتظمة تصدح في المكان، هواء بارد يضرب أجسامهم، أصوات متداخلة تقتحم اسماعهم، وفجأة مياة مثلجة تتساقط على رؤوسهم؛ ليستيقظ الجميع بفزع.

فتح عزيز عينه بوجع من الآم رأسه فأخر ما يتذكر هو دخول أحد للغرفة التي كان يحتجزه بها رائد، وضربه على رأسه بعنف دون أن يتمكن من تمييز وجهه بسبب القناع الذي كان يضعه.

حاول عزيز أن يتحرك في مقعده لكن وجد نفسه مقيد بعنف.

وبجانبه كان مجد يحاول معرفة أين هو ومن احضره لهنا لذا بدأ يصرخ:

- انا فين؟ ومين اللي جابني هنا؟؟

انتبه عزيز لصوت مجد فقال بسخرية لاذعة :

- الاه مش ده صوت الواد اللي بيشتغل عند حرامي الشباشب، شوف ربنا يا أخي.... يا منتقم يا جبار

صدح صوت نسائي في الغرفة ليقطع حديثهم :

- عزيز ؟؟ ده انت؟

انتبه عزيز للصوت جيدا وردد بفزع :

- براءة؟؟ انتِ بتعملي ايه هنا؟ انتِ مش مع زين؟

ظهر صوت اخر يصرخ بغضب وصوت مقعده يتحرك بعنف مظهرا أنه يحاول التحرر من قيده :

- انتم يا ولاد ال.... مش رائد الدميري اللي يتعمل فيه كده يا شوية.....

صدحت ضحكات عزيز يقول بتشفي :

- ده حرامي الشباشب هنا كمان، دي شكلها حفلة جماعية يا عيال

سمع الجميع صوت منخفض يقول برعب وهناك رجفة واضحة تظهر في نبرته :

- هيقتلنا كلنا، كلنا هنموت، كلنا هنموت

حاول الجميع تبين مكان ذاك الصوت ولكن حال الظلام دون ذلك، صرخ رائد بعنف وقد اصابته حالة جنون :

- مين ده اللي يقتلنا؟ ومين اللي جابني هنا؟ أظهر يا زبالة وريني نفسك

تحدثت براءة وهي تحاول تخمين صاحبة صوت :

- سوسيتا؟

ارتفع صوت بكاء سوسيتا تقول بنحيب :

- هيموتنا كلنا عشان احنا قتلنا مؤمن، كلنا هنموت هو قالي كده

شعر عزيز بالخطر وبجدية الموقف، ابتلع ريقه متساءلا :

- مؤمن؟ وانا ايه علاقتي بموت مؤمن؟ وسوسيتا وبراءة ملهمش علاقة كمان

صرخت سوسيتا بصوت شق جدران المكان :

- لا لا انا اللي قتلته، انا اللي قتلت مؤمن انا اللي قتلته بس كله بسبب ال.. رائد

اطلق رائد سباب نابية متحركا بعنف يصرخ :

- اخرسوا كلكم اخرسوا

لم يكن عزيز ولا براءة يفهمون ما يحدث حولهم ولا من أتى بهم لهنا ولكن يبدو أن الأمر لن ينتهي بخير.

سار زين في ممرات عمله بسرعة كبيرة وبكل هيبة وقوة، كان الجميع في طريقه يحييه لكنه كان لا يشعر بأحد كل ما يراه أمامه هو قرب انتقامه من رائد ومن معه.

وصل زين لمكتب قائد، توقف ليجهز نفسه لما سيقوله ثم طرق الباب فسمع صوت قائده الهادئ كالعادة يأذن له بالدخول.

دخل زين للمكتب ببسمة رسمية يؤدي التحية :

- عرفت مكان رائد يا فندم

ترك يسري الأوراق التي كان يعمل عليها بتعجب وهو يقول :

- رائد؟

هز زين رأسه يقول بجدية كبيرة :

- ايوة يا فندم هو وعصابته موجودين في كازينو قديم كانوا بيتجمعوا فيه، وانا محتاج القوات عشان نهجم عليهم

نهض يسري من مكانه متجها لزين يقول باهتمام :

- ايوة يا زين بس المفروض اننا نهجم عليه ازاى، وبأى تهمة

قال زين وهو يخرج ورقة كان قد احضرها من منزله قبل المجئ لهنا :

- بتهمة التهريب والتجارة في الممنوعات يا فندم

امسك يسري الورقة من يد زين قائلا بتعجب :

- دي الورقة اللي....

صمت فاكمل زين حديثه بجدية :

- الورق اللي الشاهدة جابتها، واللي اتسرق نسختها من مكتب حضرتك يافندم

رمقه يسري بعدم فهم هذا يعني انهم الآن يملكون ما يدين رائد لكن مازال ينقصهم الحكم عليهم لاحضاره :

- أظن إننا كنا بنملك الورقة دي في الاول ورغم كده مكنش في ايدنا حق التصرف، لأننا في انتظار السلطة القضائية تخرج امر بالقبض عليه يا زين

صاح زين يشعر أنه يفقد فرصته :

- يا فندم غلطنا لما سبناه الأول، عطناه فرصه يفكر ويخرج نفسه من الموضوع ويحط واحد بداله، إحنا نهجم بدون ما نديهم فرصة يفكروا، وعلى مسئوليتي

فكر يسري قليلا في الأمر فهو معه كل الحق ولكن مازال الأمر ينقصه أمر السلطة القضائية فهم ليسوا سوى سلطة تنفيذية :

- اسمع يا زين كان ممكن نعمل اللي انت عايزة بدون انتظار امر من السطلة القضائية ده في حالة لو كان معانا إثبات نقدر نحسن بيه موقفنا قدامهم لو حصل أى حاجة

قال زين بلهفة يقترب من يسري:

- عندي يا فندم إثبات غير الورقة دي، انا زرعت فيهم واحد من رجالتي والمفروض يكون جمع ادلة ضدهم والكلام ده من اول ما وصلت ليا الورقة دي في الاول

ابتسم يسري لتفكير زين يربت على كتف زين :

- تمام يا زين جهز قوتك ونفذ وانا في ضهرك، بس الورق اللي يثبت إدانة رائد يكون عندي عشان نقدر نقدمه للمسئولين

هز زين رأسه بإيجاب وخرج من المكتب يغلق هاتفه حتى ينهي هذه المهمة ويخرج والده بسلام لينتهي من رائد للأبد منتقما لصديقه.

ضرب وائل الطاولة بغضب مفكرا أين يمكن أن تكون براءة، عندما جاء وجد الباب مفتوح ولا أحد في المنزل، يخشى وبشدة أن يكون أضاع الأمانة التي تركها له زين، اقتربت منه حياة محاولة تهدئته :

- طب اتصل بزين باشا يمكن تكون راحت ليه

نظر لها وهو ينفي بضيق مرددا :

- اتصل اقوله ايه يا حياة؟ اقوله معلش يا فندم اصلي سبت مراتك لوحدها وجيت ملقتهاش.

ربت حياة على كتفه مواسية :

- اهدى وفكر كويس ممكن تكون راحت فين كده أصل صعب تخرج من هنا بدون عربية

مسح وائل وجهه بضيق وهو يفكر :

- مفيش اى احتمال ممكن غير أنها

صمت ليبتلع ريقه قائلا:

- اتخطفت

رغم أنها كانت تشك في هذا الاحتمال الا أنها شعرت بوجع في قلبها هاتفة :

- هنعمل ايه طيب!؟

اخرج وائل هاتفه محاولا الاتصال بزين لكن كان هاتفه مغلق :

- تليفون زين باشا مقفول

نظر لها وائل ثم تحرك للخارج قائلا:

- هنتحرك للقاهرة، لازم نحاول نوصله بسرعة على الاقل يعرف يتصرف قبل ما اللي خطفها يعمل فيها حاجة

لحقت به حياة لتتجهز وتحمل صغيرها، ويغلق وائل المنازل مستقلا سيارته يتجه للقاهرة يدعي ألا تكون براءة قد تأذت فلا ينقصه أن يصبح ملاما أمام قائده

كان الصمت هو فقط ما يمكن سماعه في هذه الأجواء المشحونة، الجميع يفكر في سبب وجوده هنا، منهم الخائف ومنهم الجاهل، قاطع هذا الصمت صوت مجد وقد انفلتت اخر ذرة تحكم عنده لذا تحرك بمقعده صارخا:

- مين اللي جايبنا هنا؟؟ حد يجي يرد علينا

سقط مقعد مجد ليتأوه بوجع صائحا بقوة :

- هندمكم على اللي بتعملوه فينا ده

هتفت سوسيتا بسخرية لاذعة :

- انت المفروض دلوقتي تكون قاعد بتستغفر عن سيئاتك مش بتتجبر

انطلقت سبة نابية من فم رائد مردفا بقوة :

- انا هعلمك الأدب يابنت ال..... لما اخرج من هنا

صدحت ضحكات سوسيتا قائلة بجنون :

- تخرج؟؟ آه فعلا كلنا هنخرج بس على القبور

تحدثت براءة وقد بدأت تخاف ما يحدث :

- اسكتوا كلكم اسكتوا

وكأن رائد انتبه لها للتو فسخر منها :

- ايه ده مين هنا؟؟ الزبالة اللي بلغت عني ، كان نفسي نتقابل في ظروف احلى من كده بس معلش ملحوقة يا بطل

صرخ عزيز بغضب شديد مدافعا عن زوجة ابنه :

- شوفوا مين بيتكلم؟؟ رائد المعفن اللي لولا زين كان زمانه مرمي في اى خرابة بيشد كولا

صمت قليلا ثم قال بقوة تنافي طبيعته :

- عينك تترفع في مرات ابني اعميك فهمت

ابتسم رائد بمكر ينظر لبراءة من أعلى لاسفل رغم الإضاءة المنخفضة:

- مش سهل زين ده، يعني خدها يحميها مني قام طمع فيها

ارتفع صوت براءة ساخرا من رائد :

- يحميها من مين ياض، عيب على التكتيفة اللي انت متكتفها زى الديوك الرومي في سوق الاربع ، مفكر نفسك خطير ولا إيه ده انا وزين كنا بنصيف مش اكتر

نظر عزيز لبراءة بفخر وهو يهتف بمزاح :

- that's my girl

ضحك رائد ينظر لها بوقاحة :

- يا خسارتك في الموت يا شرس

ضحكت سوسيتا بقوة تضيف بسخرية لاذعة :

- انت نسيت يا رائد كانو بيقولولك ايه ايام ثانوي

أجاب عزيز بتساءل :

- حرامي الشباشب؟

ضحكت براءة بشدة على عزيز رغم ما يمرون به لا ينفك يمزح، بينما نفت سوسيتا :

- تؤتؤ الهفأ، والهفأ راح، الهفأ جه

ضحك مجد بقوة على حديث سوسيتا فحدجه رائد بشر :

- افتكروا كل كلمة قولتوها عشان هتندموا عليها

قاطع حديثهم صوت فتح الباب ليدخل رجل يسير بخطوات مهيبة تثير في القلوب رعبا، جالبا معه بعض الضوء.

اقترب من منتصف الغرفة امام المقاعد الخمس جالسا على مقعد وثير وهو يضع قدم على قدم لكن الإضاءة لم تكن واضحة في الجزء الخاص به لذا لم يرى أحد وجهه.

صدح صوت ذلك المجهول وهو ينحني للأمام حيث الإضاءة ليظهر وجهه واضحا :

- اهلا بيكم في الجحيم

كان زين يجلس في السيارة مع جنوده متجهين نحو الملهى الليلي، ارجع رأسه للخلف وهو يغمض عينه متذكرا براءة وبسمتها وحديثها، تنهد بتعب هامسا لنفسه :

- هانت يا قلبي هانت ومش هخلي حاجة تبعدني عنك تاني وهرجعلك يا براءة .

شعر بتوقف السيارة، نظر لجنوده نظرة كأنه يؤكد بها عليهم تعليماته، هز الجميع رأسه بخضوع، ليهبطوا سريعا في شكل منظم محيطين بالمكان من جميع الجهات، تقدم زين ليقف أمامهم صائحا بقوة وصوت جهوري:

- طبعا مش هأكد على سلامة الرهاين، سلامتهم قبل كل شئ، مفهوم يا رجالة

صدح صوت الجنود قائلين :

- مفهوم يا فندم

تقدم جميع الجنود مقتحمين المكان بشكل مفاجئ في محاولة لقتل اى فرصة للدفاع عن أنفسهم، لكن توقفوا بصدمة وهم يرون أجساد ملقاه أرضا بطريقة تدل على حدوث قتال.

تحدث أحد الرجال بتحفز :

- شكل فيه حد سبقنا يا فندم

نظر زين حوله بعدم فهم، من يمكن أن يفعل هذا برائد ورجاله، توقف قلبه برعب يركض في ارجاء المكان وفكرة أنه سيجد جثة والده ملقاه بالداخل تكاد تخلع قلبه من الهلع، فتح جميع الغرف بعنف شديد يبحث عن اى أثر قد يدله على والده او على من فعل هذا لكن لا شئ فقط المزيد والمزيد من أجساد الرجال.

خرج حيث رجاله ثم سألهم :

- لقيتوا رائد؟

أجاب أحدهم بنبرة جادة:

- مفيش غير رجالته بس يا فندم

شعر زين بالعجز يقيده، أين ذهب رائد والأهم أين ذهب والده

خرج زين مع جنوده بعدما حملوا رجال رائد للسيارات، فتح زين هاتفه يود أن يحدث براءة وبشدة، يشعر بوجع في قلبه.

بمجرد فتحه للهاتف اتته رسائل عديدة تخبره أن هناك من حاول الاتصال به.

ابتعد عن الجنود واتصل بوائل اولا ليرى ماذا كان يريد وايضا ليحدث براءة. ،انتظر قليلا حتى سمع صوت وائل يقول بلهفة :

- زين باشا واخيرا رديت.

اجاب زين بتعجب :

- في حاجة يا وائل؟ براءة بخير؟ بعدين ايه صوت العربيات ده انت فين كده؟؟

تحدث وائل وهو يزيد من سرعته قائلا :

- انا على الطريق قربت على القاهرة و...

صمت يبتلع ريقه بتوجس لما هو آتي :

ومدام براءة اختفت وشاكك انها انخطفت

صاح زين برعب فهذا ما يكفيه ليزيد من همومه :

- بتقول ايه يا وائل اختفت ازاى وانت كنت فين؟

تحدث وائل بخجل من قائده :

- يا فندم المدام أصرت انها ترجع البيت وتقعد فيه وبعد فترة روحت انادي ليها عشان الاكل لقيت الباب مفتوح ومفيش حد في البيت كله

صرخ زين وهو يكاد يجن :

- طب وانتم محدش سمع حاجة او اى صوت تكسير يا وائل؟

اجاب وائل بنفى :

- أبدا والله يافندم محصلش اى شئ مريب

زفر زين بضيق شديد ثم نظر حوله بقلة حيلة حتى قال :

- طب اقفل دلوقتي يا وائل

أغلق الهاتف دون أن يستمع لرده، ثم أخذ يفكر بمن يمكن أن يفعل ذلك، كما أنه لا أحد يعلم المكان الذي كان يختبئ فيه، الان أصبح والده وزوجته مختفيين، من يعيش لأجلهم أصبحوا في خطر وبسببه.

قاطع افكاره صوت رسالة تصل لهاتفه مضمونها (ابوك ومراتك معايا لو عايز تشوفهم تعالى لوحدك على العنوان ده..... واوعى تحاول تتذاكى عشان متستلمهمش جثث)

تحدث عزيز بصدمة وهو يري وجه ذلك الرجل :

- انت؟؟؟؟!

صدحت ضحكات المجهول عاليا وهو يقول :

- ايه رأيك بزمتك مش مفاجأة؟

تحدثت براءة بعدم فهم وهي تنظر لعزيز :

- مين ده يا عزيز؟

كاد عزيز يجيبها لولا صوت ذلك الرجل الذي قال مقاطعا :

- انا اللي هيخلي حياتكم جحيم يا قمر

تحدث رائد بصراخ وقد تعرف على صوته فذلك هو المجهول الذي كان يعاونه سابقا للايقاع بزين :

- احنا متفقناش على كده، فكني خلينا نتفاهم براحة

ضحك الرجل بسخرية على حديث رائد :

- ومين قال اننا كنا اتفقنا من الأول أساسا انت كنت مجرد حجر بحركة عشان اوصل للي عايزه، ومكنتش هقرب منك لولا انك خالفت اللي قولت عليه وكنت بتدور ورا زين

قالت براءة بسخرية في نفسها :

- ماشاء الله بيتخانقوا على مين يخطف زين الأول، حب الناس

ابتسم الرجل ينهض متجها لمجد ينظر له بشر :

- فيه عقاب معروف اوي في دول اسيا زى الصين وكوريا وغيرها، ان لما حد يغلط بيخلوه يعدد غلطه عشان يدرك هو غلط في إيه بالضبط وميكررهوش تآني وبالرغم انكم مش هتعيشوا عشان تكرروه فأنا حابب اسمع بقى من كل واحد غلطاته

عاد مجددا لمقعده تحت نظرات الاستهجان لما يقول، اكمل المجهول حديثه :

- يلا نبدأ بمجد، شاركني يا مجد يا حبيبي اخطائك كده وخلينا ندعي أن الوقت يسعفنا عشان نجمع قذارتك كلها

نظر له مجد دون أن يجيب بل اكتفى بتحديجه بنظرات متهكمة لكن فجأة دخل أحد رجال ذلك المجهول ليقف خلفهم، كرر المجهول طلبه لمجد ومجددا لم يحرك مجد ساكنا ودون حتى إنذار شعر بضربه عنيفه في رأسه جعلته يصرخ وجعا

كرر المجهول حديثه للمرة الثالثة :

- نقول تالت، شاركنا قذارتك يا مجد يا حبيبي

قال مجد برأس يدور من الضربة :

- كنت بسرق فلوس من صحابي في المدرسة

ابتسم ذلك المجهول هاتفا :

- بداية المجرم الصغير اللي جواك مش بطال، وانت يا رائد؟

ضحك رائد بعنف ثم صمت قائلا بنبرة مخيفة :

- بتعرف تعد لغاية كام؟

رد عليه المجهول يجاريه :

- قول وانا اعد معاك متقلقش

اردف رائد ببسمة مرعبة :

- قتلت امي عشان مرضتش تديني الفلوس اللي كانت بتخبيها مني عشان مشربش حشيش

بصقت سوسيتا في الهواء مشمئزة :

- يلعن تربيتك ابن.....

قالت براءة بعدم تصديق لما سمعته :

- ابليس is that you ؟

نظر المجهول لعزيز ببسمة مترقبة فقال عزيز بعد تفكير طويل :

- اشتريت مرة أوردر ب٦٧٠ ومكنش معايا فكة فاخدت من زين وهو ميعرفش ولما سألني على الفلوس قولتله اني جبت بيهم اكل عشان كنت جعان

نظرت له براءة بخيبة امل :

- لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، كلكم كدة الفلوس اكلت عقلكم حتى انت يا عزيز

نظر لها المجهول قائلا ببسمة :

- ومدام زين الهلالي؟

أردفت براءة بعدم اهتمام :

- معنديش أخطاء ياباشا لأن بالصلاة على النبي انا بعمل كل أخطائي على المكشوف بس خد لفة كده اكون فكرتلك في حاجة

نظر لها الرجل بسخرية ثم تخطاها فهي بالنهاية لا تلزمه بل مجرد طعم لجذب زين وكاد يتحدث لسوسيتا لولا صراخ براءة :

- لا استنى افتكرت استنى، فكك بقى من لعب العيال ده واسمع التصرفات الاجرامية على حق

ضحكت بشدة وهي تتذكر ما فعلته لتقول بنبرة لا تلائم تلك الأجواء وصعوبة بسبب ضحكها الشديد :

- مره في العيد العيال كانت بتلعب بالصواريخ وكده فقمت أخدت العب معاهم بس من حظي وانا برميه وقع على راجل كان معدي من جنبنا و

توقفت قليلا لتضحك بشدة مشيرة برأسها :

- قام الصاروخ وقع عليه وحرق طرف الجلابية بتاعته وهو قعد يزعق ويصرخ في الكل والعيال قالوا اني انا اللي رميته بس انا لزقتها في فرج

ضحكت بصخب في آخر حديثها :

- يا عيني اخد كلام من بابا

توقفت عن الحديث وهي تزداد بالضحك اكثر واكثر حتى كادت أنفاسها تنقطع للتوقف بعد ثواني وهي تتنفس بصعوبة بسبب ذلك وقد فرت دمعات من عينيها بسبب كثرة الضحك لترفع وجهها لهم

مبتسمه لكن انكمشت ملامحها ترى الجمود يحتل الأوجه لتقول بعدم فهم لملامحهم تلك :

- ايه مضحكتوش ليه! ؟ دي تموت من الضحك يا جدع يعني تخيل شكل الصاروخ كده وهو بيقع على الراجل ولا فرج وهو بيتهزأ

صمتت لتستشف ردة فعلهم لكن الجميع كان ينظر لها باستخفاف لتصرخ بهم :

- دي قصة تموت من الضحك يا معقدين

زفرت بضيق وخيبة امل لتقول :

- طيب خلاص بلاش دي اسمعوا مني دي مرة فرج

قاطعها المجهول بعدم اهتمام واستخفاف شديد مشيرا لسوسيتا :

- وسوسيتا القمر؟

فتحت براءة عينها بفزع من تجاهله لها لتشعر بعزيز يواسيها لتقول بعدم تصديق :

- ده بيطنشني يا عزيز شوفت بصلي ازاى وسابني وراح لسوسيتا؟؟ ليه عندها قصص إجرامية آكتر مني ولا ايه؟؟ ده مسابنيش حتى احكي ليه حكاية الترعة

واساها عزيز بحزن :

- خلاص متزعليش الدور الجاى يبقى احكيها بعدين هو قال كل لفة بتحكي قصة واحدة

نظرت له براءة بحزن قائلة :

- هو أساسا شكله مش طايقلي كلمة يا عزيز، انا لسه فاكرة اول مرة فتحت ليه الباب لما رش البتاع في وشي، اخلاق المجرمين باظت يا عزيز باظت

ابتلعت سوسيتا ريقها بينما دمعاتها تهبط بشدة على وجنتها بشدة :

- كدبت

صمتت قليلا ثم اكملت بدموع اكثر :

- وسرقت و شربت، كل حاجة ممكن تتخيلها

تركها المجهول وعاد لمجد الذي قال وقد بدأ يسيل دم من رأسه لعينه وباقي وجهه ليقول بضحكة موجوعة :

- كنت ببلطج على الناس ومنهم مؤمن

صمت قليلا ليبتسم بسمة مريضة :

- تعرفه؟؟؟؟

اهتز جسد الرجل لثواني قبل أن يستعيد هدوءه وينظر لرائد لكن قاطع عزيز نظراتهم تلك قائلا:

- كان بيسرق الشباشب من قدام الجامع صح يا رائد

نظر له رائد بشر وكاد يجيب لولا صوت الهاتف الذي قطع ذلك الحوار الشيق للجميع فأجاب المجهول بكلمات مقتضبة :

- دخله

ابتسم ناظرا للجميع يحرك يده على مقعدة بحركات دائرية :

- فيه لاعب جديد انضم للعبة بتاعتنا

فُتح الباب ليدفع أحد الرجال زين للداخل فيبتسم المجهول بخبث يردف :

- ودلوقتي بقى نبدأ اللعب الجد

ابعد زين نظره عن الشخص الذي دفعه ليرى ذلك الذي يتحدث والذي يعلم صوته جيدا، ليهتف بصدمة بل صاعقة :

- القائد يسري؟؟

***

(الفصل الثامن)

سمع فتحي (شقيق وائل) صوت دق على باب المنزل، نهض ليرى من الطارق، ليتفاجئ ببعض رجال الشرطة.

نظر لهم بتوجس مردفا :

- خير ياباشا فيه حاجه؟

تحدث أحد الرجال وهو ينظر له جيدا :

- انت فتحي عبدالصبور

هز فتحي رأسه بإيجاب قائلا :

- ايوة انا ياباشا خير؟

اخرج الشرطي بطاقة وهاتف قائلا:

- تم العثور على جثة لقينا معاها الحاجات دي واللي عرفنا إنها بتخص زوجتك فممكن حضرتك تتفضل معانا عشان تتعرف على الجثة ونخلص الإجراءات

نظر فتحي لما يحمل الشرطي بعدم تصديق متساءلا :

- شريفة ماتت؟؟ طب ازاى؟

اجابه الشرطي بايجاز شديد :

- لقينا بعض الشباب بيحاولوا يخلصوا من جثتها بعد ما تم طعنها

سمع فتحي صوت شهقات والدته من خلفه فاغمض عينه ليتمالك نفسه هاتفا :

- بس انا طلقت شريفة ومعدتش مراتي

أعطاه الشرطي ما يحمل قائلا بلا اهتمام :

- ده شئ ما يخصنيش يا استاذ انا بنفذ الأوامر مش اكتر، تقدر تروح القسم وهناك اعمل اللي انت عايزة

أنهى الشرطي حديثه وهو يرحل تاركا خلفه فتحي ينظر للاشياء بسخرية :

- حتى بعد موتك مش عايزة تسبيني في حالي، ربنا يسامحك يا شريفة

صمت مميت يعم الأجواء ذكريات تتقاذف من هذه الرأس لتلك الرأس، قلوب نادمة وقلوب ناقمة وقلوب جاحدة وقلوب خائفة وقلوب دامية.

كل من يجلس في تلك الغرفة يرتقب النهاية، نهاية هذه القصة التي طالت وطالت فصولها، منهم من ينتظرها بلهفة للانتهاء من تلك الحياة ومنهم من يرتعش خوفا من نهايتها ومن ينتظرها للتخلص من ذلك الشعور المقيت بداخله، اختلفت المشاعر لكن النتيجة واحدة وهي اختتام ذلك الفصل من حياة الجميع.

جلس يسري على مقعده الوثير قائلا ببسمة قاسية :

- حمدلله على السلامة يا زين كنا مستنيينك من بدري، متقلقش مبدأناش من غيرك احنا بس كنا بندردش سوا

نادته براءة بصوت خافت وبسمة غبية وكأنها طفلة قد حضر والدها ليراها في يومها الدراسي

أنهى يسري حديثه يشير لبعض رجاله الذي انطلقوا وكتفوا زين بحدة تحت مقاومته ليصبح في مقعده بين عزيز وبراءة لتبتسم براءة غامزة له :

- واخيرا عشت المشهد اللي كان نفسي فيه... بس تعرف الراجل ده ذوق آوي قعدك جنبي، ناقص بس يضرب عليا رصاصة وتاخدها انت بدالي ويبقى حققت أحلامي

عض زين شفتيه لا يصدق حديثها في هذا الوقت :

- هو احنا في أتوبيس؟؟؟ بعدين أحلامك هي اني اموت ولا إيه؟ عايزاني اخد رصاصة بدالك ليه ما تولعي انتِ واحلامك انا مالي قال وانا اللي كنت بتريق على عزيز

ادّعى عزيز الهدوء والرزانة قائلا :

- انا من وقت ما انخطفت للمرة التانية بسببك يا زبالة انت وانا متكلمتش

نظرت له براءة بسخرية غامزة :

- بأمارة ال ٦٧٠ جنيه يا عزيز

حذرها عزيز بعينه الا تتحدث :

- يعني مجاتش من المجرمين وتيجي منك يا براءة اسكتي شوية

تحدث زين بنفاذ صبر يتمنى لو كانت يده حرة ليقتلهم :

- اخرسوا بقى وارحموني عايزين يتعمل فينا ايه اكتر من كده عشان تتعظوا، اقولكم انا هخلي القائد يولع فينا اياكش تتهدوا

نظر له عزيز حانقا من حديثه اللاذع :

- والله؟؟ اشمعنا بتكلمني انا كده ما تقول لمراتك برضو ولا اقولك ارميني في دار مسنين عشان ترتاح ما انا مش مهم بقى اياكش اولع

ابتسمت براءة على حديث عزيز :

- قموص انت آوي يا عزيز

صاح زين بعدم تحمل وقد وصل غضبه لمداه خصوصا لجهلة سبب وجوده هنا :

- اقسم بالله اما سكتوا انتم الاتنين لارميكم في أقرب مشرحة سامعين

عم الهدوء في المكان بعد صراخ زين وقد جذب انتباه الجميع بعد أن كانوا يتهامسون

تحدث يسري مبتسما بسمة شيطانية :

- أظن سيبتك تتطمن على اهلك.. دلوقتي بقى نبدأ اللعب على أصوله

رمقه زين بعدم تصديق يحاول التحرر وقلبه يخفق برعب خوفا على والده وزوجته :

- ليه حضرتك بتعمل كده؟؟ وليه خطفت اهلي انا عملت ايه ليك؟

نهض يسري بغضب جحيمي صائحا :

- مش عارف عملت ايه؟ ابني اللي حضرتك دمرته وحرمتني منه خلاص نسيته

انكمشت ملامح زين بدهشة وهو يردد بعدم فهم :

- ابنك؟؟

هتف يسري وجسده ينتفض من الغضب :

- ايوة ابني، مؤمن يسري، ايه نسيته على طول كده بعد ما دمرته وحرمتني منه؟؟

وكأن صاعقة أصابت رأس زين فهمس بصدمة:

- مؤمن ابنك؟؟ طب ازاى؟؟

ضحك يسري ضحكة ميتة وهو يعود لمقعده قائلا :

- ايه يا حضرة الظابط مكنتش اعرف انك فاشل آوي كده، رغم معرفتك الطويلة بمؤمن الا انك عمرك ما سألته عن والده او اسمه كامل

صمت قليلا ليبتسم بسمة ميتة :

- آه أصل مش مهم هو مين طالما لقيت حد تتسلى بيه فخلاص، بس غلطتك يا هلالي انك لعبت مع ابني

كان زين لا يسمع لشئ أبدا بل كان في عالمه الخاص يرى أمامه مؤمن يلوح له ببسمته ويناديه ويحدثه، ذكريات كثيرة تتتابع امام اعينه.

(انت نعمة يا زين ربنا يديمنا لبعض يا صاحبي)

(لا، عمري ما كان ليا صاحب يمكن عشان الكل بيفكرني اهبل)

(زين وهو انا وحش اوي كده؟ لو لبسي السبب هغير لبسي والله، بس مش عايز احس اني منبوذ كدة)

(تعرف يا زين عشت حياتي لوحدي وكنت راضي والله وبقول الحمدلله بس بعد ما جربت طعم الرفقة هيكون صعب ارجع وحيد تآني)

(خليك دايما جنبي يا زين عشان انا مليش غيرك)

سقطت دموع زين بعنف وقد أعاد حديث يسري الذكريات لرأسه وكأنه كان ينتظر حديثه ذلك ليفتح تلك الجروح التي كان قد ضمدها قديما، لكن للأسف نسى أن يعالجها قبل أن يضمدها.

هبطت دموع عزيز على ابنه وتحدث ليسري :

- زين معملش حاجة، ابني معملش حاجة لابنك

صرخ يسري بعيون حمراء وقد أصبح كما الوحش :

- كداااااب انت كداااب ابنك دمر ابني متحاولش تداري عن أخطائه.

رفع زين رأسه ليسري وعيونه تدمع بقوة هازا رأسه بايجاب :

- ايوة ايوة انا اللي قتلته انا اللي قتلته وقتلت ماما كمان انا اللي قتلتهم

فزع عزيز لحديث ابنه الذي لا يشعر بما يفعل فقد سجن نفسه مجددا في سجن ظُلمه، يستمر بظلم نفسه وادانتها لجرم لم تقترفه.

تحدثت براءة سريعا تحاول تدارك الأمر وهي تتحرك بعنف على مقعدها :

- زين معملش حاجة ده رائد، رائد هو اللي قتل مؤمن

انتفض رائد من مكانه يحاول الانقضاض على براءة صارخا بها :

- طبعا هتدافعي عنه ما هو حبيب القلب، انا اساسا مليش علاقة بمؤمن ده ولا اعرفه هو كان صاحب زين ومن وقت ما بعدت عن زين وانا مبقتش اعرف حاجة عنه

نظر له زين بصدمة وعقله لا يستوعب الأمر يحاول تحليل كل ما يحدث حوله.

صرخ عزيز في المقابل برائد :

- انت كداب، زين أساسا مشافش مؤمن من وقت ما ضربتوه في عيد ميلاد سونيا

صرخت سوسيتا أثناء ضحكها بجنون :

- ايوة كلنا قتلناه كلنا اللي قتلناه، رائد ومجد وزين وانا كلنا كلنا قتلنا مؤمن

انطلقت رصاصة تشق الأجواء ليصمت الجميع فجأة برعب رامقين يسري الذي فاض الأمر به صارخا :

- اسكتوا كلكم اسكتوا، اللي هسمع صوته هقتله سامعين.

الظلام يملئ الغرفة ويحوم في الأجواء صمت مزعج، ومن قال أن الصمت لا صوت له، بل على العكس فصوت الصمت اكثر الأصوات ازعاجا وإرهاقا للنفس.

على فراش في تلك الغرفة كان جسده مسطح في شكل يوحي للرائي أنه لربما يكون ذلك الشخص فاقد للحياة، لولا حركة صدره الرتيبة التي تدل على تنفسه، وحركات عينه تلك لظننت أنه جثة لا أكثر.

كانت يده تتدلى من الفراش واعينه شاخصة للسقف لا يشعر بمن حوله ولا يشعر بشئ يرفض الحياة ويرفض من بها، ترى الهالات السوداء تحت عينه كما لو لم يغمض له جفن منذ عقود.

ابتلع ريقه بصعوبة شديدة بسبب جفاف حلقه ومازال مستمر للنظر في السقف وكأنه يتابع برنامجه المفضل او ما شابه لكن في الحقيقة هو كان يتابع احداث حياته، وذكريات ذلك اليوم لا تفارقه أبدا وكأنها حدثت بالأمس مازال يشعر بذلك الوجع ومازالت تلك الأصوات والمشاهد تسير أمام اعينه وكأنها شريط سينمائي.

(عام ٢٠١١)

كان جسده يرتخي بشكل يثير الرعب لا يشعر بمن حوله يشعر وكأن الظلام يمد اليه ذراعيه مرحبا به ليخترق سمعه صراخ سوسيتا محاولة انقاذه، ودّ لو يحرك يده ويخبرها أن تنقذه لا يريد الذهاب لذلك الظلام، لا يريد أن تكون تلك نهايته.

وبصعوبة شديدة فتح عينه ليرى سوسيتا تصرخ كالمجنونة بينما مجد يسحبها بعنف بعيدا عنه، أراد أن يصرخ مناديا إياها ألا تتركه وحده لكن جسده لا يطاوعه وكأنه يعاقبه لما فعله به سابقا حينما دمره.

أضواء تمر امام عينه أصوات مزعجة تخترق سمعه، هل هذا ما يسمى بشريط حياته هل هو يحتضر الآن قفز قلبه رعبا لتلك الفكرة لا يريد ذلك ليس مستعدا لذلك لقد أخطأ كثيرا وعصى الله كثيرا.

اهتز بدنه بطريقة هيستيرية ورعب وكأن روحه تستعد لتوديع جسده أرادت صرخة أن تخرج لكن توقفت في منتصف الطريق غير قادرا على إخراجها.

هبطت دموعه بقوة لتتدحرج من عيونه منحدره لجانب وجهه حتى وطئت الأرض جواره، أخرجه من حالته تلك سماعه لصوت يعرفه، لصوت يصرخ قلبه طالبا احتواءه، لصوت طالما ساانده في كل لحظة ضعف، صوت والده....

دخل يسري سريعا لذلك المكان الذي توصل إليه حينما تتبع مكان هاتف ابنه ليجد المكان فارغ وعابق بالدخان الخانق وكأن حريق كانت ناشبة هنا

تقدم نحو الداخل اكثر وهو يسعل بعنف مناديا صغيره ليتيبس جسده مصعوقا لذلك المشهد الذي لن يُمحى من رأسه طالما يتنفس، طفله البرئ الصغير الذي كانت ضحكاته تنعش قلبه، من كان برئ لدرجة خوفه من إيذاء حشرة.... الان وأمام عينه يتسطح أرضا في مظهر مزري ومخزي ويحتضر تقريبا.

ركض يسري سريعا لابنه ليصرخ بوجع :

- مؤمن يا حبيبي، مؤمن مين عمل فيك كده يابني؟؟ ليه كده ليه؟؟؟

كان يسري يتحدث وهو يبكي ويضم ابنه بينما مؤمن ينظر له بترجي أن ينقذه لا يريد الموت يخشى الموت بهذه الطريقة وهو لم يستعد بعد.

مر كل شئ بشكل سريع فكان مؤمن يشعر بأصوات عالية تخترق اذنه واضواء مزعجة تؤلم عينه بينما تلك السحابة السوداء عادت لتمد يدها لكن تلك المرة باصرار شديد ليستسلم لها مؤمن بكل رحابة صدر.

(في الوقت الحالي)

تدحرجت الدمعات من عينه تباعا لتسقط على الفراش فتبلله وكأنه قد انسكب عليه أحد اكواب الماء ليغمض عينه هامسا بوجع :

- عشر سنين.... عشر سنين ولسه الوجع كأنه كان امبارح... عشر سنين ولسه حاسس بنفس وجعي.... عشر سنين ولسه مؤمن الضعيف.... عشر سنين ولسه مؤمن الأهبل

أنهى حديثه باكيا بعنف وقوة يتذكر حياته السابقة وكيف قضى تلك العشر سنوات بين مصحات الإدمان والأطباء النفسيين في تلك العشر سنوات لم يتحدث له والده ولو مرة عن تلك الحادثة لم يذكرها منذ

ذلك اليوم الذي افاق ليجد نفسه في المشفى وهو لم يسأل عن السبب فهو لا يرغب في إعادة ذلك الوجع مجددا ، ندم؟؟؟ نعم وكثيرا.

لكن بما سيجدي ندمه الأن.....

كان فتحي يستند على الحائط يفكر ماذا سيفعل هل يذهب لرؤيتها ام يتجاهل الأمر فقط.

خرج من شروده على صوت والدته القادمة من الداخل وقد اتضح له أن الباب يطرق منذ وقت طويل لكن يبدو أنه غرق في ذكرياته، للحد الذي لم يتمكن من سماع صوت الطرق.

اتجهت والدته لفتح الباب بتعجب لتتفاجئ أمامها بابنها الأصغر وزوجته وابنه وملامح ابنها لا تبشر بالخير أبدا.

دفع وائل حياة بخفة ناظرا لوالدته وهو يقول بسرعة كبيرة أثناء سيره لغرفته :

- ماما خلي حياة ويحيى هنا انا عندي مأمورية مهمة هخلصها وارجع

انخفض صوته تدريجيا أثناء دخوله للغرفة ليخرج منها سريعا يحمل سلاحه ثم توقف أمام حياة ينظر أرضا حتى تحدث بتردد :

- انا رايح مهمة مش عارف هرجع ولا لا، بس لو حصل ورجعت هستنى منك كلمة يا حياة اذا كنتي حابة تكملي حياتك معايا، ولا...

صمت قليلا يبتلع ريقه ليكمل :

- ولا تحبي اطلقك

تجاهل وائل شهقة والدته التي صدرت من الخلف ضاربة صدرها تهتف باستنكار :

- تتطلقوا؟؟ هو ايه اللي بيحصل ليكم ده؟؟ مش كفاية اخوك؟؟

لم يجيب وائل على ندب والدته بل اقترب من حياة وقبل طفله بحنان وحب ثم نظر لها بتردد ليقترب منها مقبلا جبينها قبلة طويلة هامسا أثناء ابتعاده :

- خلي بالك من يحيى ونفسك

ثم التفت لوالدته قائلا :

- دعواتك يا أمي

أنهى حديثه ليخرج سريعا تحت هتاف والدته بالدعاء له

بينما اتجه هو للمقر حيث الفرقة الخاصة بزين والذي امر بجمعهم لأمر عاجل، وصل للمركز ليدخل سريعا لغرفة الفريق لينهض الجميع بسرعة متحفزين لما سيقال

صمت وائل قليلا يراقب وجوههم حتى هتف بنظرات غامضة :

- اجهزوا يارجالة عندكم مهمة.....

صمت قاتل يسود المكان الكل يفكر في مصيره والكل يترقب النهاية، صوت حذاء فقط هو ما يصدح في المكان.

عاد يسري لمقعده بكل برود يمتلكه جالسا عليه ببطئ مدمر للاعصاب ثم ضم كفيه على قدمه لينظر للجميع قائلا ببسمة :

- نكمل اللعبة اللي قطعناها بسبب دخول زين باشا.

تحدث زين دون أن ينظر له :

- ابويا ومراتي ملهمش ذنب في اى حاجة خرجهم من لعبتك

ابتسم يسري بسخرية ليصدح في المكان صوت ضربه عنيفة تلقاها زين من الرجل خلفة صرخت على اثرها براءة بوجع ليعقب يسري :

- انا بس هنا اللي ادي أوامر، بعدين اطمن هما بس كانوا طعم مش اكتر انا عمري ما كنت ظالم يا زين وانت اكتر واحد عارف

ابتسم بمكر هامسا بحروف تقطر حقد وغضب :

- اللي غلط هيتعاقب إنما اللي مغلطش هسيبه يمشي متقلقش، بس خليهم معانا يتفرجوا عليك وانت بتنضرب

بكت براءة بعنف وارتفع صوت صرخاتها لينادیها زين :

- براءة متخافيش هخرجك من هنا انا وعدتك هترجعي لأهلك سليمة

هزت براءة رأسها بعنف باكية:

- لا لا مش عايزة ارجع ليهم انا عايز أفضل معاك يازين

هبطت دموع عزيز بقهر وضعف ليهمس متوجعا :

- زين عمره ما أذى مؤمن، اقسم بالله كان بيعتبره اخوه الصغير وعمره ما فكر يأذيه

ابتسم يسري بسخرية ولم يعقب على حديثه بينما هتفت سوسيتا بجنون ناظرة ليسري :

- انا مكنش قصدي.. مكنش قصدي اقتله.. قتلته غضب عني والله هو اللي شرب وانا حذرته بس هو مسمعش كلامي

بكت بعنف صارخة من بين شهقاتها :

- والله ما كان قصدي هو اللي قالي اخليه يشرب كنت مفكراه عايز يخليه مدمن مش اكتر، بس هو كان عايز يقتله انا قولت ليه انه لو شرب زيادة هيموت بس هو مسمعش كلامي والله ما كان قصدي انا اسفه سامحني يا مؤمن

نظر يسري بغضب لزين ظنا أنها تتحدث عنه فقديما كان كل حديث ابنه عن زين وكانت كل سهراته مع زين حسب ما كان يخبره اذا لابد أنه زين ومن غيره؟؟

لاحظت براءة نظرات يسري المظلمة صوب زين لتصرخ بفزع من تلك الفكرة :

- لا لا مش زين اللي عمل كده والله م...

قطع حديثها نهوض يسري واتجاهة لها ليصرخ بها بنبرة مرعبة :

- اششششششش اسكتي خالص مش عايز حد ينطق بكلمة غير لما انا اسمح له سامعة؟؟

نظر للجميع بجنون ليضحك عائدا لمقعده:

- ودلوقتي نكمل لعبتنا بس نشرح قوانينها لزين باشا الأول عشان هيشاركنا.

بدأ يسري يشرح لزين لعبته المزعومة ليتأكد زين أن قائده قد فقد عقله كليا، رغم ذلك حاول أن يجاريه في جنونه ذلك علّه يشغله بعض الوقت ريثما يصل وائل ومن معه....

تحدث يسري مشيرا لبراءة وعزيز بسخرية :

- انتم مش مجبرين تشتركوا معانا في اللعبة ال**** دي

لم تهتم براءة بحديثه بل كانت نظراتها مصوبة فقط على زين قلبها يهتز حزنا على ضعفه ذلك، مازال سجنه يضعفه، مازال يحاسب نفسه دون حتى محاكمة..

تحدث عزيز بضعف شديد ودموع قهر ورعب على ولده الوحيد :

- انت مش مصدق ليه أن زين ملوش علاقة بمؤمن من بعد حادثة عيد ميلاد صاحبتهم؟؟

لم يهتم بهم يسير مشيرا لرجاله بأوامر معينة ليلاحظ الجميع بأن هناك رجل خلف كل شخص منهم :

- قررت احط قانون جديد.... انا هسأل وانتم هتجاوبوا و لو حد منكم جاوب إجابة متعجبنيش هيتعاقب

ثم أشار لبراءة وعزيز محذرا :

- لو حد منكم أتدخل هخليه يندم على اللحظة اللي فتح فيها بقه

نظرت براءة أرضا تبكي بعنف تخاف وكثيرا..... تشعر بأن هذا الأمر لن ينتهي ببساطة.

ابتسم يسري برضى ليقول بينما يضم كفيه سويا :

- دلوقتي نبدأ بقى اللعبة..... يلا يا رائد يا حبيبي نبدأ بيك

ابتسم رائد له بسخرية ليتحدث يسري :

- سبب عداوتك لزين ايه؟؟

ضحك رائد بصخب على سؤاله ذاك والذي يعده سخيف من وجهة نظره :

- انا ذات نفسي معرفش ايه سبب عدواتي معاه من كتر الأسباب انا كل اللي فاكره اني من وقت ما عرفته وانا مش بطيقه.... حقد، حسد، غل... سميها زي ما تحب

هز يسري رأسه ببسمة منتقلا لمجد:

- ايه اللي لمك على الأشكال الزبالة دي يا مجد يا حبيبي مش كان اكرملك تسرق محافظ في الاتوبيس العام؟

صدم مجد من معرفة يسري بماضيه والذي حتى اقرب الاقربين منه لا يعرفونه :

- انت عرفت منين؟؟

ضحك يسري بصخب :

- عيب عليك يا مجد انت مش بتكلم مبتدأ يا راجل

ابتلع مجد ريقه والرعب في قلبه يزداد تجاه ذلك المجنون :

- اتعرفت على رائد في حفلة من الحفلات اللي كنت بحضرها ومن وقتها بقينا نتجمع سوا دايما

هز يسري رأسه ولم يعقب على سؤال لينتقل لزين قائلا بجدية :

- اشمعنا مؤمن؟؟

نظر له زين بعدم فهم ليقول يسري بحسرة حاول مدراتها:

- اشمعنا مؤمن اللي تعمل فيه كده؟؟؟ من بين الكل اختارته هو عشان تدمره وهو كان دايما في حاله.....

هبطت دموع زين ليهتف بصوت خافت :

- انا عمري ما كنت ناوي ائذيه.... غصب عني والله.... انا... انا كنت بحب مؤمن كأنه اخويا

صرخ يسري بغضب جحيمي رافضا سماع حديثه ذاك :

- كداااب انت عمرك ما حبيته..... انت بس كنت بتستغله عشان تسحب منه فلوس مقابل الزفت اللي كنت بتبيعه ليه

نظر له زين بعدم فهم ليكمل يسري بقهر :

- دايما كان يجي يطلب مني فلوس زيادة ويقولي عشان زين مزنوق ومحتاج فلوس سلف كنت بستغرب انك تحتاج فلوس لاني لما دورت وراك عرفت انك مش فقير ومعاك فلوس بس كنت بقول معلش بس مكنتش اعرف انك مش بتستلفها لا ده انت كنت بتديله مقابل.....كنت بتديله سم

فتح زين عيونه بصدمة وكأن صاعقة ضربت رأسه... هل يعتقد القائد أنه هو من قتله حرفيا.... هو كان يقول أنه قتله بسبب احساسه

بالذنب وبسبب قربه منه لكن أن يقتله هو بكل ما للكلمة من معنى... أن يكون هو القاتل اسما وفعلا.... هذا ما لم يتوقعه

ابتسم يسري لينهض متجها لزين قائلا بحقد شديد :

- ايه صدمتك ولا إيه؟؟

رفع زين عيونه ليسري ومازالت الصدمة مؤثرة به ليضحك يسري بسخرية.... بينما رائد يراقب زين ومايحدث له باستمتاع شديد ممنيا نفسه بعدم اكتشاف يسري للحقيقة لكن لم تستمر اماله تلك بسبب السؤال الذي طرحه يسري بعدها :

- ودلوقتي سوسيتا..... ايه اللي خلاكي تدخلي اللعبة القذرة دي؟ ايه مصلحتك من قتل ابني؟

نظرت له سوسيتا بعيون حمراء ومازالت ذكرى ذلك اليوم وارتجاف جسد مؤمن ومظهره يراودها :

- تقدر تقول كده اني كنت عاملة صفقة زبالة وللأسف ابنك كان طرف فيها

نظر لها يسري وقلبه يحترق غضبا لكنه تحامل على نفسه ليسأل سؤاله التالي له رغم ظنه أنه يعلم الاجابة :

- صفقة ايه؟؟

ارتعشت أوصال رائد ومجد بينما زين يستمع لها منتبها وعزيز وبراءة يرتقبون حديثها.....

ابتسمت سوسيتا بسمة مختلة وهي تميل برأسها قليلا ناظرة ليسري :

- اقولهم انا؟؟

فجأة استدارت لتواجه رائد فتزداد بسمتها جنونا هاتفة :

- ولا تقول انت يارائد؟؟

***

(الفصل التاسع)

كانت تجلس على فراشها او بالاحرى فراشه هو تضم وجهها بين كفيها تتساءل هل هي حقا تسطيع تركه؟؟ هل انتهت قصتهم هكذا؟؟؟؟

زفرت بتعب لتدير وجهها صوب الصغير الذي كان ينام بكل هدوء، لكم تحسده الان على راحة البال هذه مدت يدها تداعبه بحب راجية في داخلها الا يرى يوما تعب او مشاكل.

خرجت من شرودها بالصغير على صوت طرق الباب ليصل إليها صوت فتحي هاتفا من خلف الباب :

- حياة انتي صاحية؟؟ لو صاحية معلش ممكن نتكلم شوية؟؟

رفعت حياة جسدها من على الفراش بخمول شديد متجهة ناحية الباب لتفتحه بعد أن تأكدت من وضع حجابها...

رفع فتحي نظره لها ليقول بهدوء يوحي بالكثير :

- اسف لو كنت صحيتك

هزت حياة رأسها بنفى ساخرة من تلك الجملة بداخلها :

- لا انا منمتش أساسا متقلقش

ابتسم لها فتحي ليشير بيده نحو والدته التي تجلس في البهو :

- طب معلش ممكن نتكلم شوية

كانت تعرف مغزى الحديث الذي يرغب في طرحه ورغم ذلك رسمت ملامح التعجب والفضول باحترافية كبيرة :

- تمام هتأكد بس من يحيى أنه نايم كويس وهحصلك

هز فتحي رأسه موافقا إياها ليتحرك نحو والدته ببطئ داعيا الله أن ينجح في اقناعها بحديثه.....

جلس بجانب والدته لدقائق حتى سمع صوت الباب الخاص بغرفة أخيه ليجدها تطل عليهم هاتفة أثناء جلوسها:

- أتفضل انا سمعاك

تنحنح فتحي قليلا ليجلي حلقه ثم بادر بالحديث قائلا :

- بخصوص طلاقك انتي و وائل

انتصب جسد حياة في ترقب لينظر فتحي مجددا لوالدته ثم اكمل :

- ممكن تراجعي نفسك في الموضوع ده

رمقته حياة دون إجابة ليكمل حديثه :

- حياة وائل بيحبك.....

رمقته حياة بصدمة وكأنها تسأله بعينها كيف علم ليبتسم لها فتحي :

- متستغربيش كده ده اخويا وانا عارفة... كان بيودعك كأنه سايب كنز وخايف يرجع يلاقيه اتسرق

انا عمري ما شوفت وائل بيهتم بحد أبدا زي ما هو بيهتم بيكي وبيخاف على زعلك

صمت يدرس تعابير وجهها ليرى تأثير كلماته فيبتسم بانتصار :

- حياة إنتِ محتاجة يكون فيه حد معاكي مش هتقدري تربي يحيى لوحدك ويحيى كمان محتاج اب... اعتبرينا عيلتك وصدقيني عمر ما حد مننا هيضايقك

رمقته حياة بشرود تفكر في حديثه هي في الأساس كانت تفكر في رفض الطلاق فقلبها هذا لا يطاوعها أبدا لترك وائل..... يبدو أنه وللأسف الشديد قد سقط صريعا لهواه ولم يعد بقادر على العيش بدونه.....

وما اسوء من ذلك الصمت الذي يترك لعقلك مجال للحديث، افكار كثيرة تشعرك بالاختناق تود لو كان بإمكانك نزع عقلك من رأسك ليتوقف عن التفكير....

كان هذا شعور زين حيث لم يستوعب بعد ما قالته سوسيتا بينما تلبست رائد حالة جنون مخيفة يصرخ بسوسيتا قاذفا إياها بابشع الألفاظ..

كانت سوسيتا تضحك بشدة على مظهر رائد ذلك لتقول شامتة :

- شكلك مكسوف يا رائد باشا خلاص احكي انا

صاح رائد بغضب مرعب وعيون حمراء وشعور بأنه يسقط الآن للهاوية يكاد يقتله :

- اخرسي، اقسم بالله لاقتلك يا زبالة انتي نسيتي اصلك يا.....

فجأة شعر رائد بضربة عنيفة تسقط على رأسه ليعلو صراخه في المكان تزامنا مع صوت يسري القائل :

- انا مأذنتش ليك تتكلم

ضحكت سوسيتا واشتعلت النيران والغضب بداخلها اكثر، نظرت ليسري ببراءة مصطنعة :

- خلاص عشان رائد مكسوف هحكي من اول ما رائد بدأ يسحب مؤمن ليه لغاية لما خلاه ياخد جرعة مخدرات زيادة

احمرت أعين يسري بطريقة مرعبة لينظر بغموض لزين الذي كان شارد بطريقة مخيفة.... حول يسري نظره لرائد الذي بدا وكأنه يستعد لنهايته...

بدأت سوسيتا تقص على يسري كل شئ ببسمة مختلة واستمتاع شديد وكأنها تمارس هوايتها المفضلة :

- الموضوع بدأ لما زين ضرب رائد في حفلة عيد ميلاد جميلة الجميلات سونيا واللي بالمناسبة كانت مشتركة معاهم في الموضوع بس تقدر تقول انها تابت إلى الله وسافرت مع والدها

تابعت الأوجه حولها ببسمة لتكمل متشفية في رائد :

- وقتها رائد المفروض كان مكلف أنه يشغل مؤمن عن زين بأمر سونيا، بس تقريبا كده اعصابه فلتت فاتهجم على مؤمن وضربه وقتها جه زين وضرب رائد واللي معاه

كان جسد يسري ينتفض غضبا مما يسمع لكنه حاول تمالك نفسه فيبدو أنه لم يكن يعرف كل شئ كما كان يدعي ويتفاخر بدرايته بكل الأمور

ايتلعت سوسيتا ريقها مكملة :

- بعد الحادثة دي زين بدأ يبعد عن مؤمن بس رائد منسيش اللي زين عمله فيه اول ما فاق من الحادثه وأنه تقريبا فضحه قدام الكل فحب ينتقم منه عن طريق مؤمن لانه عارف قد ايه مؤمن مهم لزين

اغمضت عينها بوجع شديد لما تذكرته :

- واستغل إن مؤمن بقى من غير حماية زين وبدأ يتلون زي الحرباية ويتصاحب عليه ويقرب منه ويسحبه شوية شوية للمستنقع بتاعة وانا كنت السنارة اللي كان بيسحبه بيها.....

هبطت دموعها تحرق وجنتيها :

- خلاني امثل عليه اني بحبه عشان اسحبه للسهرات بتاعتنا خليته يشرب الأول كأس وبعدين سجارة وبعدين يشم وبدأ يضرب حقن

بكت بعنف اكثر وهي تهز رأسها بقوة :

- بس والله كان غصب عني، رائد اللي اجبرني كان بيذلني لانه بيجبلي مخدرات بعد ما خلاني ادمنها مكنش قصدي اني اعمل كده ليه والله

صمتت مبتلعة ريقها لتقص تلك الليلة الصعبة التي مرت بها :

- كان دايما رائد بيخلي مؤمن يبلغك إنه خارج مع زين عشان لو حصل اى حاجة يكون زين اللي متهم فيها..... كان حتى بيمنعه يقف معاه في الجامعة او يقابله في حتة هو معروف فيها عشان محدش يشك فيهم

نظر رائد أرضا وقد أدرك أن لعبته كشفت لم يكن يتوقع نهاية كتلك لكنه لن يستسلم ابدا سيقتل تلك اللعينة سوسيتا

كان يسري يستمع إليها ويشعر كما لو أن دمائه ستفور لتخرج من رأسه :

- في الليلة اياها كان مؤمن متقل في الشرب قام جه مجد وعطاه صنف لسه جديد بس كان شديد آوي... حاولت امنعه ياخده والله بس مسمعش كلامي وعاند بسبب تريقة مجد والكل عليه واخد المخدر ومرة واحدة لقيته كأنه مات قعدت انادي عليه بس مردش والله ما رد وبعدين تليفونه رن وكنت هقولك أن رائد قتله هو ومجد بس رائد شد مني التليفون و هددني اني منطقش اسمه وان زين هو اللي كان هنا

انهت حديثها تنهار في البكاء وهي تخترف بالحديث :

- مكنتش اقصد والله مكنتش اقصد اقتله.... هو مات بسببنا..... رائد هو اللي قتله ومجد.... وانا قتلته..... كلنا قتلناه كلنا

تحدث يسري أخيرا بنبرة مخيفة بينما هناك بسمة غامضة ترتسم على فمه تنذر بالجحيم القادم :

- ومين قال إن مؤمن مات؟؟؟

كان يتسطح كعادته على فراشه ناشدا الخلاص من هذه الحياة يتمنى لو استطاع إنهاء حياته للتخلص من هذا العذاب لكن يخاف، نعم بعد كل ما فعله أصبح يخشى أن يموت على معصية.

انتفض مؤمن من فراشه بسبب أصوات الرعد بالخارج، ليتحرك صوب النافذة رامقا الحديقة الخاصة بالمنزل الذي يقطن به منذ عاد من رحلة علاجه. ابتسامة غريبة احتلت وجهه حينما لاحظ قطرات المطر التي تتدحرج على نافذة غرفته على استحياء

وبلا تردد وجد نفسه يتجه للباب المؤدي للحديقه ليخرج من ذلك السجن ولأول مرة منذ مدة لا يعلمها في الحقيقة يقف أسفل المطر فاتحا ذراعيه مبتسمة بسمة غريبة جدا ويدور كالطفل الصغير وهو يضحك بصوت عالي اشبه بالجنون

داخل المنزل كانت والدة مؤمن تجلس أمام التلفاز شاردة كعادتها، واجمة الملامح لتسمع فجأة صوت اشتاقت له اذنها لتنهض متعجبة الأمر متجهة صوب ذلك الصوت لتتفاجئ بمؤمن يتراقص أسفل المطر في مظهر جعل الدموع تتدافع لعينها.... ركضت سريعا لهاتف المنزل الذي عزلهم به زوجها بعيدا عن الأعين الفضولية...

ضغطت عدة ازرار بسرعة ولهفة تنتظر الرد حتى سمعت صوت زوجها الهادئ الجاد لتصرخ بفرحة تتخللها شهقات سعيدة :

- مؤمن يا يسري..

على الطرف الآخر كان يسري يراقب ملامح كل الموجودين بعد سماعهم لتلك الحقيقة التي ألقاها بوجههم دون مقدمات لكن قاطع لحظاته تلك صوت رنين هاتفه... كاد يتجاهله لولا تمييزه لرقم منزله الخاص حيث زوجته وابنه ليجيب بلهفة :

- الو يا وداد فيه إيه حصل لمؤمن حاجة

انتبهت حواس زين جيدا في ترقب لسماع اى خبر عنه فهو لا يصدق حتى الآن ما قاله يسري، مؤمن حي يرزق؟؟

ثواني وكان يسري ينتفض من مكان غير مصدق لما سمعه من زوجته ليخرج من الغرفة سريعا وكأن هناك من يلاحقه وخلفه الأعين كانت ترمقه بحيرة وعدم فهم.

بمجرد خروج يسري لحق به رجاله ليتركوا الجميع في الداخل مغلقين عليهم الأبواب لتبدأ معركة من نوع آخر

رمق رائد سوسيتا بنظرات حارقة ليهمس من بين أسنانه :

- هندمك على كل اللي قولتيه يا.....هخليكي تتمني لو كنت قتلتك قبل كده

ابتسمت سوسيتا بخبث شديد ضاحكة بحقد :

- معلش تعيش وتاخد غيرها، اووبس ده لو عشت اصلا

انهت حديثها بضحكات عالية لكن توقفت فجأة بسبب سقوطها أرضا على وجهها بعنف شديد

فقد استغل مجد انشغال الجميع بها هي ورائد وتحرك بمقعده لها مسقطا اياها أرضا ثم اخذ يضغط عليها بقدمه بكل غل وحقد هاتفا بجنون :

- انا مش هخلي نهار جديد يطلع عليكي يابنت ال...

صرخت سوسيتا بوجع كبير، حاول زين أن يدفع مجد بعيدا عن سوسيتا لكن مجد لم يتحرك من مكانه ليضطر زين إلى التحرك بمقعده قليلا ثم ضربه بعنف بقدمه ليتأوه مجد بوجع

استغل رائد مشاجرة مجد و زين ليتمكن هو من ضرب زين من الخلف لكن لمحته براءة لتصرخ :

- حاسب يا زين...

في نفس الوقت الذي خرج به يسري من المقر كان وائل يقود الفرقة الخاصة بزين متجها للعنوان الذي اخبره عنه زين قبل ذهابه، حاصر الجنود المكان بحرفية عالية لكنهم كانوا في انتظار اشارة من وائل والذي تولى قيادتهم بدلا من زين.

كانت انظار وائل تدور في المكان بانتظار إشارة زين حيث وضع زين جهاز في مكان خفي خلف رقبته مختبئ أسفل شعره، لكن حتى الان لا إشارة

في الداخل سقط زين أرضا بعنف شديد ليتكالب عليه كلا من مجد و رائد، كانت صرخات براءة تكاد تصم الآذان بينما عزيز يصرخ بهم محاولا دفعهم بعيدا عن ابنه

كان زين يحاول الاعتدال حتى يدافع عن نفسه لكن فجأة شعر بسقوط رائد بعنف عليه لينتبه لسوسيتا التي دفعت جسدها بالمقعد على رائد صارخة به :

- عشت زبالة وهتموت زبالة اتفوو على تربيتك انسان..

ابعد زين جسد رائد عنه بصعوبة شديدة ليتحرك هو بعدها زاحفا بعيدا عنهم مستغلا الشجار الذي انتقل منه لسوسيتا، ليقترب من براءة بسرعة كبيرة

- براءة اضغطي على رقبتي من ورا بسرعة

رمقته براءة من بين دموعها ببلاهة :

- مش فاهمة.

نظر لها زين بحدة ليقول :

- اضغطي على رقبتي يا براءة اخلصي

لم تتبدل نظرات براءة فمازالت ترمقه ببلاهة شديدة ليصرخ بها بهياج شديد :

- اضربيني على قفايا يا متخلفة اخلصي يا زفته

صرخت به براءة تدفعه بركبتها بغيظ :

- انت طلعت منهم

رمقها زين بعدم فهم لتصرخ بعزيز الذي يراقب ابنه بعدم فهم أيضا لما يطلب :

- الحق ابنك من الرجالة اللي بتدخل على الازر للبنات و تقولهم انا..

لم تكمل حديثها بسبب صراخ زين بها :

- قسما بربي يا براءة اما ضربتيني على قفايا دلوقتي لاكون واخد عزيز واهرب بيه واسيبك هنا لوحدك

رمقته براءة بحدة تُحدث عزيز دون أن تحيد بنظرها عن زين :

- مقولتيش يعني يا عمي انك مش مربي ابنك

تحدث عزيز بعدم اهتمام لحديثهم :

- مجاتش مناسبة

رمقها زين بشر بعد أن انتبه لتصاعد الأمور بين سوسيتا ورائد ومجد :

- لما اطلع من هنا انا هسحلك على الاسفلت لغاية بلدكم

كادت براءة تجيب عليه لولا صراخه بها بعيون حمراء _ اضربيني على رقبتي اخلصي

ابتسمت براءة بمكر تقول :

- طيب هضربك بس بشرط

ضحك عزيز متشفيا في ابنه :

- قولتلك هتيجي اللي تربيك، بس الصراحة متوقعتش توصل لدرجة تتشرط عشان تضربك على قفاك

ضحكت براءة مع عزيز ليرمقهم زين بشر كبير صارخا :

- هو أنا بعرض عليكِ الجواز يا متخلفة اخلصي اضربي

زمت براءة شفتيها ببسمة ساخرة :

- بمناسبة الجواز هزود شرط كمان، اول شرط لما نطلع هتطلبني للجواز تآني ومن اول وجديد

الشرط التاني هتعاملني بطيبة واحساس وتدلعني قدام الناس شيرين عبد الوهاب مش احسن مني في حاجة

نظر لها زين بغباء لتزفر موضحة :

- يعني تعاملني بحب وحنان ورومانسية يا عديم الدم يا للي من ساعة ما شوفت خلقتك ما بلتش ريقي بكلمة حلوة

تحدث عزيز ببسمة يستغل الوضع :

- واشرطي عليه يجبلي العاب وقت ما اطلب يا براءة عشان مش بيرضى

نظر له زين بشر أيضا ليبتسم عزيز بغباء فتقول براءة بحزم :

- وتجيب للراجل الغلبان ده اللعب اللي هو عايزها ايه هتفتري على ابوك كمان

رمقها زين بغضب شديد يود لو يقتلها هي ووالده لتقول بحاجب مرفوع :

- ايه بتبصلي كده ليه؟؟ لا اسمع اما اقولك والله اركب دماغي ومضربكش على قفاك وشوف مين اللي هيضربك انا بقولك اهو

ابتسم عزيز بتشفي :

- احسن احسن

صاح زين صارخا بهياج بهم هم الاثنان :

- قسما باللي خلقني يا براءة اما ضربتي قفايا لاكون مرجعك بيت ابوكي قطع إنتِ سامعة؟؟

رمقته براءة بغضب وغيظ شديد لصراخه بها وفجأة رفعت قدمها لتهبط بها بعنف شديد على رقبته من الخلف فسقط زين على وجهه أرضا صارخا بغضب :

- آه يا زبالة

ابتسمت براءة بتشفي فيه لتقول ببرود شديد :

- you are welcome

في الخارج استقبل وائل إشارة زين ليشير للجنود بالتجهز.

ثواني وكان يعطي لهم الأوامر بالهجوم

دخل يسري منزله بلهفة شديد ليتصنم جسده رامقا طفله الوحيد يرقص أسفل المطر كما قالت زوجته واخيرا ومنذ عشر سنوات يشعر أن ابنه عاد إليه

اتجه إليه باقدام مهتزة بينما قلبه يتخبط بين جنبات صدره غير مصدقا لما يشهده الان.

توقف يسري بجانب ابنه الذي كان يبتسم بسمة رقص لها قلبه فرحة بعودتها :

- مؤمن

توقف مؤمن عن الرقص لكنه مازال يفتح يديه للسماء ويغمض عينه وعلى شفتيه ترتسم بسمة جميلة :

- حلمت من فترة إن انا قابلت زين والجو كان بيمطر، جه وكلمني وكان بيضحك

توقف عن الحديث ليفتح عينه ببطئ :

- تفتكر حلمي هيتحقق؟؟

نظر يسري لابنه بدموع ليقول :

- هيتحقق، هيتحقق يا مؤمن

أنهى حديثه ليلقي بنفسه بين أحضان ابنه باكيا يتذكر كيف عاش العشر سنوات الماضية بين تخطيط للانتقام وشعور بالقهر، والعجز لمساعدة ابنه

اغمض عينه بوجع شديد ليهمس لابنه بما جعل جسده يتجمد :

- رائد اللي عمل كده فيك صح؟؟

اقتحمت عناصر القوات ذلك المنزل القديم والذي يحتجز به يسري الجميع، في نفس الوقت الذي كانت تدور به معركة دامية بالداخل بين مجد ورائد من طرف وسوسيتا وزين الذي تدخل من طرف اخر

بينما عزيز وبراءة كانوا يتخذون دور متفرجين فقط واذا استدعى الامر يتدخلون...

بدأت القوات تهجم على كل من يقابلها او يعوق طريقها فدارت معارك طاحنة بينهم وبين رجال يسري

أخذ وائل مجموعة من الرجال مستغلين انشغال الباقيين في المعارك ليتوغلوا للداخل لكن أثناء دخولهم ظهر في وجههم مجموعة من الرجال التابعين ليسري ليشتبك الفريقين بغشامة كبيرة.

كان وائل يضرب بكل غضب لا يرى أمامه أحد فقط كل مايراه هو إنقاذ قائده.

استمرت المعارك بين الجميع في جو اشبه بالحروب حتى وفجأة ارتفع صوت الرصاصات في الجو، لم يكن أحد ليهتم بالأمر لولا مشهد سقوط وائل أرضا مضجرا بدمه...

في الداخل كانت سوسيتا تنحني على رائد تعض رقبته بغضب شديد وكأنها على وشك اقتلاع جزء منها بين أسنانها.

ليستغل زين ذلك الوضع قافزا عليه يحاول ضربه لكن توقف الجميع عن التحرك والأشجار حينما فُتح الباب ودخل رجال كثيرون اتضح أنهم رجال زين ليهتف بأمر :

- فكونا بسرعة ومحدش يفك مجد ولا رائد.

اتجه الرجال لهم ليفكوا ويثاقهم جميعا ماعدا رائد ومجد

بمجرد فك ويثاق زين ركض سريعا يساعد في حل ويثاق والده و براءة لكن توقف فجأة بسبب سماعة صوت رصاص يشق الأجواء ويعقبه صوت صراخ رائد، استدار زين سريعا ليجد سوسيتا تحمل مسدس ونظاراتها زائغة بشكل مخيف وتهمس بجنون :

- قتلته

كان يسري يجلس ويراقب انهيار ابنه بعد أن قص عليه كل شئ وتأكد أن حديث سوسيتا ليس خطأ وأنه أخطأ في تقديره للأمور ابتلع ريقه بوجع ليهمس :

- ظلمت كتير اوي يابني ظلمت ناس كتير اوي...

لم يفهم مؤمن حديث والده وما كاد يتحدث حتى قاطعهم رنين هاتف يسري ليجيب سريعا حينما رأى اسم أحد رجاله الموجودين بالمنزل حيث زين والجميع.

انتفض يسري بفزع حينما سمع ما حدث ليعيد شعره والذي يتخلله خصلات بيضاء للخلف :

- طب وزين وأهله حصلهم حاجة؟؟

انتبه مؤمن لنطق والده اسم زين لكن لم يفهم اى شئ من حديثه المقتضب ذاك.

أنهى يسري حديثه في الهاتف ليتجه صوب الباب سريعا ناويا الذهاب حيث الجميع لكن حال ابنه دون ذلك حينما اعترض طريقه مطالبا بتفسير لما سمعه منذ قليل، صاح به والده في عجلة :

- مؤمن ابعد من قدامي دلوقتي خليني اتصرف

فرد مؤمن ذراعيه رافضا الحراك :

- مش قبل ما تقولي ماله زين وعيلته وايه علاقتك بيهم يا بابا

نظر له يسري قليلا وحاول الافلات منه لكنه منعه من ذلك، ليزفر يسري صائحا بنفاذ صبر :

- كنت خاطفهم، استريحت

فتح مؤمن عيونه بصدمة وفغر فاهه :

- خاطفهم؟ ليه خاطفهم؟؟

أخرج يسري أنفاسه بعصبية صارخا :

- عشان انتقم لك يا مؤمن..

صمت قليلا ليقول بعدها بصوت منخفض :

- كنت مفكر إن زين سبب كل اللي حصلك لأنك كنت بتقولي انك خارج مع زين وكل حاجة بتقولي زين عايزني افكر ازاى يعني ؟؟

أنهى حديثه ينوي إكمال طريقه للخارج لكن وقف مؤمن في طريقة مانعا إياه من الحركة :

- هاجي معاك.....

***

(الفصل العاشر والأخير)

تسمر الجميع محله يشهدون انهيار سوسيتا وجنونها حيث بدأت تصرخ :

- قولتلك يا رائد اقتلني عشان لو عشت انا اللي هقتلك

انهت حديثها ضاحكة بجنون ليتقدم منها أحد الجنود مقيدا إياها لكنها لم تهتم بل استمرت بالضحك والبكاء في آن واحد، بينما كان مجد غير واعي لما يحدث حيث ضربه زين لدرجة فقدانه للوعى

انطلق زين لبراءة ووالده يطمئن عليهم ليتأكد أنهم بخير ولم يطالهم اى أذى

تحدث عزيز بتعب واضعا يده على ظهره :

- ضهري وقف من القعدة دي، بعد كده حل مشاكلك بعيد عني انا خلاص كبرت ومبقتش حمل الخطف وغيره مش ابقى قاعد في امان الله ألاقي واحد جاي يخلص تارة فيا

ضحك زين بصخب مجيبا على والده :

- معلش يا عزيز استحملني، بعدين اهي براءة جات وهتشيل عنك شوية يعني انت تتخطف مرة وهي مرة

تحدثت براءة بعدم اهتمام :

- معنديش مانع بس تديني مرتب، أصل القعدة دي والثبات الانفعالي مش ببلاش ياباشا

ضحك زين بشدة ليباغتها بشده لها داخل احضانه هامسا :

- كنت هموت من الرعب يا براءة كنت هموت من الرعب

ربتت براءة على ظهره بحنان هاتفة :

- متخافش يا باشا انت وراك رجالة، انا معنديش مانع انخطف تآني على فكرة، بس يكون معاك ويربطونا سوا زي الافلام نفسي اعيش اللقطة دي آوي

ضحك زين مبتعدا عنها قائلا لهم أثناء تحركهم للخارج :

- المرة الجاية هبلغهم يخطفونا سوا حاضر ، واخيرا الكابوس ده خلص، مش مصدق ان خلاص خلصت من رائد ومجد وكمان مؤمن عايش

ضحكت براءة تلك المرة هاتفة :

- يا أخي ده الواحد عاش ايام رعب، قصة غريبة وعجيبة كل شوية نكتشف سر ولا الأفلام الهندي، ده انا خايفة تطلع اخويا في الاخر، بس منكرش اني عشت شوية مشاهد بوليوودية كان نفسي فيها

صمتت قليلا لتقول ببسمة حالمة :

- ما عدا المشهد اللي البطل بياخد فيه البطلة ويروحوا متنكرين لحفلة الاشرار وهناك واحد يعاكس البطلة والبطل يفقد اعصابه ويضربهم يااااه كان نفسي اعيشه آوي

لوى زين شفتيه من رأس زوجته التي تعيش فيلمها الخاص :

- يعني كل ده ومش مكفيكي ده انا من اول الفيلم بتاعك ده وانا نازل ضرب في كل اللي اشوفه

تحدثت براءة بحماس ولهفة كبيرة :

- لا تفرق لما تضرب ناس عادية غير لما تضرب رئيس العصابة وبعدين ياخدك يعذبك يومين تلاتة كده وانا في الاخر اجي انقذك

تلاعب زين بحاجبيه غامزا :

- ايوة هتنقذيني بالعربية الكارو بتاعتك

صدحت ضحكات زين بعد أن أنهى حديثه وقد وصلوا لخارج المنزل لكن قطع ضحكته مشهد جعل قلبه يتحرك بعنف حيث كان يسري يتجه لهم وبصحبته مؤمن، نظر زين لوالده وبراءة التي خمنت هوية ذلك الشاب

ربت عزيز على كتف ابنه قائلا :

- ريح قلبك يابني وروح كلمه، كفاية تحمل نفسك فوق طاقتها.

نظر لهم زين بتردد ليقول لوالده :

- بابا خد براءة وارجع البيت، فيه حاجات هخلصها واحصلكم.

هز عزيز رأسه بايجاب لتقترب براءة من زين هامسة له :

- هتوحشني

ابتسم لها زين بحنان لينحني لها حتى أصبح في طولها :

- مش هتأخر ياقلبي

ابتسمت براءة بسمة غامضة :

- مستنياك ياروحي بشوق كل العشاق

رفع زين حاجبه بعدم فهم مرددا :

- مش مرتاحلك

ضحكت براءة تاركة إياه :

- متتأخرش ياباشا

أخذ عزيز براءة وتحرك بعيدا عن الجميع عائدا لمنزله يدعو الله بداخله أن يريح قلب صغيره لينعم بحياة طبيعية.. فهو لم يخفى عليه رجفة عيونه ورغم ضحكاته مع براءة إلا أنه لاحظ ارتجاف صوته..

بمجرد ذهاب عزيز وبراءة أشار زين لأحد جنوده باتباعهم للتأكد من سلامتهم، وبدأ باقي الجنود في إخلاء المكان.

ابتلع زين ريقه متجها صوب قائده ورفيق حياته ليتوقف على بعد مناسب منهم صامتا لا يعلم ماذا يقول، رفع رأسه ينظر لمؤمن ولم يكد يفتح فمه حتى وجد مؤمن يلقي نفسه بعنف في أحضانه باكيا بشدة يتحدث من بين شهقاته :

- انا اسف يا زين اسف، ارجوك سامحني، مش عارف عملت كده ازاى كنت غبي يا زين كنت غبي آوي عنادي وداني في داهية ارجوك سامحني انا اسف.

تفاجئ زين من حركته تلك لكنه سريعا بادله العناق بشدة لتهبط دموعه متذكرا كل الايام التي كان يحلم فيها بكوابيس لظنه أنه سبب موت مؤمن، وكل الوجع الذي استوطن قلبه وبشدة كلما تذكر إحدى الذكريات معه، يشتاق لمؤمن الصغير كثيرا يحمد الله كل ثانية على نجاته

سقطت دموع يسري لذلك المشهد أمامه ليقترب من زين قائلا بخزي وحزن :

- زين انا.. انا اسف ظلمتك وخطفت اهلك بس..

قاطعه زين وهو يبعد مؤمن عنه ويضم يسري بحب واحترام :

- متكملش يافندم طول عمري كنت بعتبرك قدوة وأب ليا واللي حضرتك عملته اى اب مكانك كان عمله واكتر

سقطت دموع يسري أكثر :

- قدوة؟؟ القدوة دي يابني فشلت انها تحمي حتى ابنها او تجيب حقه، وحتى لما فكرت اني انتقم ليه كنت هنتقم من الشخص الغلط

ربت زين على ظهره متفهما وجعه ذاك :

- صدقني يافندم مكانتك لسة زي ما هي في عيني وهتفضل دايما قدوة

ابتعد عنه يسري ينظر له بألم هامسا :

- انا هقدم استقالتي يازين وهسلم نفسي و..

قاطعه زين ينظر لعينه ببسمة :

- بتهمة ايه يافندم، محدش يعرف اللي حصل غير انت وأهلي ودول محدش فيهم هيتكلم، مجد وتقريبا مبقاش نافع لحاجة، رائد وسوسيتا قتلته

صدم مؤمن مما سمع ليردد :

- سوسيتا قتلت رائد؟؟؟

هز زين رأسه بتعب قائلا :

- ده حوار طويل آوي...

قاطع كلامه خروج الجنود وهم يسحبون سوسيتا التي كانت تضحك بصخب صارخة انها قتلته ليتألم مؤمن عليها متذكرا آخر لحظاته معها فقد كانت هي الوحيدة التي خافت عليه وحاولت مساعدته يتذكر كلماتها القليلة التي توغلت لمسامعه قبل أن يسقط في تلك الغيمة السوداء....

نظر زين لمؤمن بشفقة :

- مؤمن ممكن نتكلم.....

عادت براءة مع عزيز للمنزل فكانت تلك اول زيارة لها لمنزل زين، نظرت حولها باعجاب لتقول :

- عنده حق يدفع حق ازازتين ماية، ده انتم طلعتوا اغنية بقى

ضحك عزيز على حديثها ثم قال بجدية :

- ويفيد بايه المال لو عندك عيل عاق مش بيرضى يشتري ليكي اللي نفسك فيه

نظرت له براءة بعدم فهم لتخمن مقصده :

- متقولش هو طلع بخيل مع أهله؟؟

هز عزيز رأسه بوجع مصطنع :

- بخيل آوي.

فتحت براءة عينها بصدمة :

- هو طلع منهم، يبعزق فلوسه على برستيجه برة البيت و جوا بيحرم اهله من اللقمة

جلس عزيز على الاريكة بحزن مصطنع :

- اقولك ايه ولا ايه؟؟ ماهو في النهاية ابني ومينفعش اشوه صورته قدام مراته

تغيرت لهجته فورا للحماس والحدة في آن واحد ليقول :

- بس لازم تكوني على نور من اولها، الواد زين ده جلدة مكنش بيسبني اتهنى باى حاجة، كل ما اطلبلي طلب اون لاين يروح منكد عليا يوميها عيل بومة. طب تعرفي اخر طلبية طلبتها الاستاذ شال كابل التلفزيون والنت عشان متابعش الكرتون اللي بحبه ده قلبه جاحد

ضربت براءة كف على كف بعدم تصديق :

- لا حول ولا قوة الا بالله ايه بس الحظ المنيل ده

صمتت لتقول فجأة :

- بس تعرف انا كنت عارفة والله انه مش طبيعي من اول مرة ايده اتمدت على الازازة في المطعم وانا قولت انه مش طبيعي أصل معلش مين في الشعب المصري كله بيفتح ازازة المايه في المطعم غير نجيب سويرس وأبو هشيمة

صمتت بتفكير تحاول تحليل شخصية زين :

- بس تعرف انا قولت انه يمكن من النوع اللي بيتحرج يرفض ازازة المايا بس هو أساسا معفن من جوا، للأسف طلع معفن من جوه ومن برة، بس على مين انا هوريه

تحدث عزيز بلهفة وبسمة غريبة وكأنها لاتتحدث عن ابنه :

- هتعملي ايه؟

ابتسمت براءة بخبث شديد :

- هربيلك ابنك من اول وجديد يا عزيز.....

كان يجلس الاثنان أمام سيارة يسري والذي اعارها لهم.

الصمت يخيم على الأجواء لا تسمع سوى صوت الرياح.....

كان زين ينظر أمامه لا يعلم ماذا يفعل او كيف يبدأ بعد عشر سنين يعود له صديق ظن يوما أنه رحل بسببه

خرج من افكاره على صوت تنهيدات صادرة من جانبه نظر بتعجب ليجد مؤمن ينظر للاسفل بينما جسده يهتز بعنف ليعلم فورا أنه يبكي، جذب زين مؤمن بقوة لأحضانه مازال يتعجب وجود ذلك الشعور بالمسئولية تجاه مؤمن، مدّ يده يربت على ظهر مؤمن الذي كانت شهقاته تعلو في الأجواء قاطعه ذلك الصمت الذي كان سائد منذ

لحظات. ارتفعت شهقاته اكثر وهو يصرخ بوجع مما حدث له. دمر نفسه ودمر عائلته وكاد يدمر الوحيد الذي ساعده.....

هبطت دموع زين ليشاركه البكاء لكنه حاول تمالك نفسه ليقول من بين دموعه :

- خلاص يا مؤمن خلصت الحكاية خلاص وكله رجع زي الاول

بكى مؤمن اكثر متشبثا به لينفي كلامه :

- لا مخلصتش يا زين مخلصتش انا لسه ماخدتش جزائي كل اللي حصل ده ولسه متعاقبتش بجد، يا زين انا طول العشر سنين مستني إن ربنا يعاقبني مش عايز اموت وانا مكفرتش عن ذنوبي

ابعده زين عنه يحاول تمالك نفسه لينظر له قليلا ثم ابتسم بسمة غريبة :

- تعرف يا مؤمن من كام يوم كده كنت قاعد نفس قعدتك دي وكنت مخنوق نفس خنقتك دي

تنفس زين يبتسم متذكرا براءة وحديثها :

- بس فيه حد كده قالي ان السجن اللي انا فيه ده خروجي منه في أيدي انا

لم يبدو على مؤمن للفهم لينهض زين قائلا ينظر للافق أمامه :

- انا وانت يا مؤمن حابسين نفسنا في سجون احنا اللي عملناها ومش بس احنا كل الناس بتحبس نفسها في سجون يا مؤمن

لم يفهم مؤمن حديثه ذاك لذا استفسر :

- سجن ايه! ؟؟

تحدث زين موضحا مقصده ليعيد عليه نفس حديث براءة له :

- كل واحد مننا بيعمل سجن لنفسه عشان يحبسها فيه بيكون الغرض من السجن ده هو اننا منواجهش نفسنا بغلطنا او خوفنا... بنستخبى جوا السجن ده رافضين اى حد يواجهنا باللي احنا عملنا السجن عشان نهرب منه يعني مثلا....

اكمل حديثه يقترب منه يرمقه ببسمة :

- انت حابس نفسك في سجن الندم، لسه ندمان على حاجة فات عليها سنين وسنين، وانا حابس نفسي في سجن الشعور بالذنب لسه بحمل نفسي ذنب اى حد يتأذى ويكون قريب مني

ضحك ضحكة بلا روح ليكمل :

- حتى عزيز حابس نفسه في سجن طفولته اللي مقدرش يعيشها بيحاول يعوض سنين طفولته اللي اتعذب فيها وهو كبير ، القائد يسري حبس نفسه في سجن الانتقام، و سوسيتا كانت حابسة نفسها في سجن الماضي

اهتزت نظرات مؤمن عند ذكر سوسيتا لذا اغمض عينه بوجع فلن ينسى أن ذلك القلب كان يخفق لها بجنون يوما، كان؟؟؟ وهل نسى يوما سوسيتا؟؟

خرج مؤمن من افكاره على صوت زين ليقول غير منتبها للحديث :

- هاا بتقول ايه؟؟

ابتسم زين على صديقه ليعيد حديثه :

- كنت بقولك اني انا حتى لسه ما خرجت كليا من السجن، انا اخدت تصريح براءة بس لسه مستني يتنفذ يا مؤمن، حاول انت كمان تخرج نفسك من سجن الندم ده

صمت ينظر أرضا قليلا ثم رفع نظره مجددا :

- انت بتقول انك مستني عقابك، ليه متقولش إن ربك مستني توبتك؟؟

ترقرقت الدموع مجددا في عيون مؤمن :

- وهو انا ليا توبة يا زين بعد اللي عملته

نظر زين للسماء قائلا ببسمة واسعة :

- ربك رحيم آوي يا مؤمن ، ادعيه هيستجيب سبحانه وتعالى رحيم بعباده.. هو أعلم بما في قلبك يا مؤمن عارف الوجع اللي عشته اسجد ليه واسغفره يغفر لك.

هبطت دموع مؤمن ليجلس مجددا بضعف وخذلان :

- انا مش بصلي يا زين.. هيستجب ليا؟

ابتسم له زين بسعادة كبيرة لاستجابته :

- طب وليه متبدأش تصلي يا مؤمن؟؟ ابدأ صلي وادعي وتوب وادعي ربنا يغفرلك

هز مؤمن رأسه رافضا تلك الفرصة :

- ازاى اصلي؟؟ الأيد اللي كانت بتلمس الستات عادي وكانت بتمسك اى حاجة محرمة ازاى تترفع وتطلب حاجة من ربنا، والبق اللي دايما كان بيشرب اى حاجة محرمة ازاى يبقى ليه الجرأة انه يدعي ويستغفر.....

ربت زين على كتفه بحنان :

- ماهو لو كل واحد فينا قال نفس كلامك ده يبقى محدش هيتوب يا مؤمن

صمت مؤمن ولم يجب لذا رأى زين ألا يكثر في هذا الحديث حتى لا يجعله ينفر منه فالكثرة والضغط دائما ما يأتون بنتائج عكسية لذا رأى أن يغير مجرى حديثه :

- بتحبها!؟

نظر له مؤمن بتعجب ليكمل زين ببسمة :

- سوسيتا... بتحبها ؟؟؟

في بداية المساء كان عزيز يجلس متابعا أحد برامجه المفضله حتى سمع صوت فتح الباب.... راقب دخول زين إليه في هدوء شديد وغموض يظهر على ملامحه.

كان زين ينظر حوله لذلك الهدوء فلا والده وحده هادئ ولا حتى براءة وحدها هادئة فما بالك بالاثنان معا في نفس المكان؟؟ توقع أن يجد حرب قائمة هنا لا هذا الهدوء.

تقدم من والده ليقول بعدم فهم لذلك الهدوء المحيط :

- أمال فين براءة؟؟ ومالك يعني هادي كدة مش عوايدك؟

ادعى عزيز اللامبالاة معيدا نظره للتلفاز :

- براءة رجعت للبيت... وانا هادي لان كنت لسه مخطوف من شوية فالخطف تعبني شوية

تنهد زين وهو يهز رأسه بتفهم لكن توقف فجأة يستوعب حديث والده :

- قولت ايه؟؟ براءة في بيتها؟؟ ازاى ترجع للعمارة دي تاني ومن غير ما تستأذن مني؟

ابتسم عزيز بسمته الغبية مردفا:

- لا ماهو هي مش رجعت العمارة دي رجعت البلد بتاعتها

صاح زين بعنف وغضب شديد :

- نعـــــــــم، رجعت فين؟؟

أجاب عزيز ببسمة متشفية :

- البلد، رجعت البلد بتاعتها

تحدث زين بعدم فهم لما فعلته براءة وسبب هذا التصرف :

- رجعت ليه؟؟ وازاى مش فاهم؟؟ إزاي رجعت من غير فلوس ولا ورق ولا اي حاجة

هتف عزيز يعود لمشاهدة التلفاز مجددا :

- لا منا عطتها فلوس عشان ترجع

ابتسم زين بعدم تصديق لحديث والده لصيح به :

انت يا عزيز عطتها فلوس عشان تسيب ابنك وتمشي يا جاحد

صمت زين قليلا يضع إحدى يديه في خصره والأخرى في شعره لكنه لم يستطع الهدوء لتذكره انها تركته وحده وذهبت ومن ساعدها على ذلك هو والده، ابتسم فجأة ليتذكر عندما همست له (هتوحشني) تلك الخبيثة كانت تخطط للأمر

وضع عزيز يده على اذنه ليحميها من صراخ ابنه الذي كاد يسبب له صمم ليجده فجأة يحمل مفاتيحه التي كان قد تركها، راكضا خارج المنزل بغضب شديد مغلقا الباب بعنف خلفه ليبتلع عزيز ريقه :

- استر يارب، يارتني ما سمعت كلامك يا خرابة يا براءة.....

كان يقف يرمقها بحزن وشفقة كبيرة يتساءل هل لو كانوا تعرفوا في ظروف أخرى كان ليحدث كل ذلك

تنهد بحزن على حالتها والتي أكد الطبيب أنها تحتاج للعلاج النفسي المكثف حتى تعود لما كانت عليه سابقا، شعر مؤمن بيد تربت على كتفه، استدار ببطئ يرمق والده بحزن ليتحدث يسري :

- متقلقش هتكون بخير الدكتور قال موضوع وقت وترجع عادي

ثبت مؤمن نظره عليها أثناء نومها بعد أن تم حقنها بمادة مخدرة :

- طب ورائد واللي حصل؟

زفر يسري أنفاسه بتعب :

- متقلقش من الموضوع ده، هتخرج منها لان زين وعيلته هيشهدوا انه كان دفاع عن النفس مش اكتر غير أن حالتها النفسية غير سوية فاحتمال البراءة في حالتها دي كبير جدا....

هز مؤمن رأسه بينما انظاره مثبته عليها يفكر ماذا يفعل إن نهضت واصبحت بخير... هل يعود إليها وكأن شئ لم يكن؟؟ ام يبتعد بهدوء وكأنه لم يراها يوم؟؟

ابتعد عن والده ليجلس على احد المقاعد يتذكر حديث زين عن توبته وعن خروجه من ذلك السجن... ابتسم بسخرية فيبدو أنه حُكم عليه بالمؤبد...

ركض فتحي في ممرات المشفى وخلفه والدته وحياة التي وكأنها لا تشعر بأحد حولها فقط تتذكر ذلك الخبر الذي سقط على رؤوسهم..... حيث اتصل بهم زين قائد وائل واخبرهم ما حدث لوائل ليركض الجميع للمشفى بجنون يطمئنون عليه...

وقف الجميع أمام إحدي الغرف ليطرق فتحي الباب فسمع صوت ممرضة تأذن لهم بالدخول، دخل الجميع واحدا تلو الاخر خائفين على ذلك الذي يتسطح على الفراش بكل راحة وكأنه لم يتعرض لطلق ناري منذ قليل، رمقت حياة تلك الممرضة بعيون نارية.

تقدم فتحي لاخيه قائلا براحة شديدة :

- الحمدلله انك كويس قلبي وقع في رجلي لما القائد بتاعك كلمني وقالي حالتك

بمجرد دخول فتحي تذكر وائل ما علمه بشأن زوجته _التي لم يعلم بانفصال أخيه عنها _ وأنها كانت عشيقة لرائد فقد وجد أشياء تخصها

وصور لها في مقر رائد حينما صادر الجنود كل ما هناك، تنهد بتعب وقد قرر ألا يتحدث يكفي ما حدث لاخيه فلا يزيد عليه الأمر.

ابتسم وائل ينظر لحياة التي ما تزال تثبت نظرها إلى الممرضة التي تقوم بتعليق بعض المحاليل له :

- انا بخير يا فتحي اطمن، الرعاية هنا على أعلى مستوى مش مخليني محتاج حاجة

قال آخر جملة يرمق حياة بخبث لتبعد حياة نظرها اخيرا عن تلك الممرضة ليبتسم لها وائل يغمز لها دون أن ينتبه أحد لتقول الممرضة ببسمة عملية :

- ممكن حضرتك تديني ايدك عشان اركب ال..

قاطعها صوت حياة التي هتفت في حدة:

- والله ما انتي تاعبة نفسك يا عروسة، اديني انا البتاع اللي هتركبيه وانا اركبه

نظرت لها الممرضة بعدم فهم :

- اسفة بس حضرتك بتعرفي تركبي المحاليل

ابتسمت حياة تضع الصغير يحيى بيد نوال قائلة :

- اتعلم يا عسل، معرفش يبقى اتعلم

رفع وائل حاجبه ببسمة وقد اعجبته اللعبة كثيرا مقررا الاستمرار بها...

اقتربت نوال منه تربت على شعره بحنان :

- حبيبي يا ضنايا ياما قولتلك بلاش ام الشغل المهبب ده مسمعتش كلامي اديك اهو لا قادر تتحرك ولا نيلة

ضحك وائل على حديث والدته :

- انا بخير يا ست الكل متقلقيش، قربي يحيى ابوسه

اقتربت والدته بالصغير الذي أخذ يلعب ويضحك ليبتسم له وائل مقبلا اياه بحب تحت نظرات حياة التي ابتسمت دون وعي

تحدث وائل بغموض بعدما انهت الممرضة عملها وخرجت :

- فين شريفة يا فتحي وايه اللي حصل بينكم وكانت امك بتتكلم عليه قبل ما امشي المهمة؟؟

نظر فتحي لوالدته بخزي ليقص عليه كل ما علمه عن شريفة حتى ذهب لاستلام الجثة.....

كان زين يقود للقرية التي تقطن بها براءة وشرارات الغضب تخرج من عيونه، حاول تهدئة نفسه إلا أنه عجز فعليا عن ذلك. مرت ساعات وهو يقود نحو القرية رغم صعوبة الجو في ذلك الوقت بسبب الرياح والسحب التي تنذر بأمطار شديدة إلا أنه لم يتوقف حتى وصل للقرية، اقترب بسيارته من منزل براءة ليرى الانوار مازالت مشتعله في المنزل اذا هم لم يناموا بعد، هذا رائع ليدخل ويقتلها اولا قبل أن يناموا

طرق زين الباب و وقف بهدوء يحاول أن يبتسم في وجهه من سيفتح الباب لكن فجأة تغيرت ملامحه بملامح تعجب تقريبا وهو يرى شاب غريب الشكل والهيئة يقف أمامه قائلا بوقاحة :

- نعم حضرتك عايز مين! ؟؟

نظر له زين من أعلى لاسفل بتعجب يتساءل :

- مين حضرتك الأول؟؟

تحدث الشاب ببرود يستند على إطار الباب :

- والله انت اللي مخبط على الباب فالمفروض تقول انت اللي مين وعايز ايه؟؟

كاد زين يجيبه لولا سماعه لكلمات جعلته ينظر للشاب نظرات تكاد تحرقه :

- يا بودي اتأخرت ليه كده مش هنكمل لعب ولا إيه

فتح زين عيونه بصدمة هامسا :

- بودي ولعب؟؟

تحدث ذلك المدعو بودي بصوت عالي :

- ايوة يا بيرو جايلك يا روحي.

احمرت عيون زين بغضب جحيمي ليصرخ صرخة رنّ صداها في المنزل كله :

- براااااااءة

تحدث بودي بانزعاج من صراخه :

- فيه إيه يا عم إنت بتصرخ كده ليه؟؟انت مين أساسا متخلص مش هتحايل عليك

مد زين يده ماسكا إياه من تلابيبه هادرا به بقوة :

- اسمع ياض انا ماسك اعصابي بالعافية لأحسن شوية كمان وهخليك ذكرى

ابتسم الاخر ساخرا يبعد يد زين عنه :

- طب اتكلم على قدك يا جميل واوعى ايدك دي شوية عشان منزعلش من بعض

رمقه زين بشر وكاد يصرخ لولا رؤيته لبراءة تخرج إليهم وهي تبتسم بدلال لذلك البودي، والمشكلة ليست هنا فقط بل أنها كانت ترتدي ثياب منزلية وتقف بشعرها أيضا، هنا وشعر زين بالشياطين تتراقص أمام اعينه ليدفع بودي من أمامه بعنف داخلا للمنزل ليجذب إليه براءة بعنف شديد ويتحرك بها بعيدا عن الجميع متجاهلا صراخ رياض وفرج به

داخلا لأول باب واجهه والذي اتضح انه يطل على الحديقة الخلفية التي تحتوي ملحق المنزل، ترك زين يدها بعنف هادرا فيها دون أن يميز ما أمامه :

- دلوقتي وبكل هدوء عايزك تقوليلي سبب واحد ميخلنيش امسك دماغك دي اخبطها في أقرب حيطة واخلص منك انتِ وبودي اللي جوا ده

ابتلعت براءة ريقها متقهقرة للخلف :

- هو.... هو هو كان

صاح بها زين بنفاذ صبر تزامنا مع سقوط اول قطرات المطر :

- هو ايه انطقي؟

صرخت براءة بالمقابل وهي تدفعه للخلف بغضب :

- انت بتزعق ليه انت هاا؟؟ بأى حق تزعقلي! ؟؟

ارجع زين شعره للخلف مبتسما بعدم تصديق لحديثها :

- بأى حق!!! انتي واعية بتقولي ايه؟؟؟ انا جوزك يا أستاذة جوزك لو ناسية

سقطت دموع براءة دون أن تشعر او أن تخطط حتى لذلك :

- لا يا زين مش جوزي انت متجوزني عشان غرض معين والغرض ده تم خلاص والمهمة خلصت وكل حاجة خلصت قولي بقى عايز ايه وجاي هنا ليه

سقطت الأمطار بعنف عليهم تحت نظرات براءة والتي تتعجب من نفسها لم تكن تخطط لقول ذلك بل يبدو أن قلبها قد أخرج كل مخاوفه دفعة واحدة أمام وجهه.... سقطت دموعها قائلة بخوف لم يتركها ثانية واحدة..... وأمل تريد أن تريح به قلبها :

- جيت ليه يا زين؟؟

هدر بها زين بصوت عالي يمسك كتفيها بقوة :

- عشان بحبك يا متخلفة..... بحبك من اول ما عرفتك بس إنتِ عامية وهبلة ومش شايفة.

لم يكمل كلامه بسبب القائها لنفسها بين احضانه بعنف تبكي بشدة وتضمه أكثر :

- يعني مش عشان المهمة؟؟

رفع زين يده يود ضربها على رأسها علها تعود لوعيها :

- يا متخلفة مهمة ايه دي ما هي خلصت المهمة اهي

ضحكت براءة على حديثه قائلة:

- يعني انت جاي هنا عشان تاخدني ونتجوز

ابتسم زين بحنان على تلك الفتاة التي يشعر وكأن نهايته على يدها :

- ايوة يا قلب زين انا جاي هنا عشان نتجوز

ابتسمت براءة لتبتعد عنه سريعا جاذبة إياه نحو الخارج بسرعة :

- طيب يلا بسرعة اقول لرياض يجيب الناس ونعمل صوان و...

اوقفها زين فجأة يقول بغيظ و حدة :

- ده انا اللي هعمل صوان على روحك يا بعيدة، استني هنا رايحة فين بمنظرك ده والأستاذ بودي برة

نظرت له براءة بعدم فهم:

- بودي مين؟

ابتسم زين ساخرا وهو يقلدها :

- بودي اللي عايزة تكملي معاه لعب

نظرت له براءة بعدم استيعاب لثواني ثم ضحكت بشدة :

- آه خلاص افتكرت، معلش اصل دي اول مرة اناديه بودي عشان اغيظك يعني فمخدتش بالي

جز زين على أسنانه يبتسم بغضب :

- طب ممكن المدام تشرحلي هي اي اللي خرجها قدام بودي كده؟

وضعت براءة يدها على رقبة زين لتقول بدلال :

- اووووه الاستاذ زين غيران بقى؟؟

ابتسم زين ليقول ببرود شديد :

- لا انا بس مشفق على بودي يشوف الخلقة دي يا حبة عيني تلاقيه قطع الخلف

دفعته براءة بغضب شديد هاتفة :

- متخافش يا حنين الاستاذ بودي مقطعش الخلف أصله عقبال عندك الاستاذ بودي عنده جنا ونرمين وبالنسبة لشكلي ده فأطمن الاستاذ بودي متعود عليه من وقت ما كنت بنام جنبه زمان

انهت حديثها بنبرة مستفزة لتتركه وترحل بينما هو أخذ ينظر في اثرها بجنون يكاد يفتك بعقله يفكر بينه وبين نفسه أن بودي هذا لابد وأنه أخيها في الرضاعة أو ماشابة.... ركض خلفها بجنون يدعو أن يكون تخمينه صحيح والا قتله وقتلها أيضا...

بعد أن رحل الجميع واصرت حياة على المبيت بجانب وائل وأعطت الصغير لنوال تحدث وائل :

- فكرتي في اللي قولت عليه يا حياة؟

صمتت حياة تتذكر ذلك العرض الذي ألقاه بوجهها قبل الذهاب لمهمته لترد عليه بتنهد :

- مش عارفة يا وائل مش عارفة مترددة آوي وخايفة اخد خطوة وارجع أندم

اعتدل وائل في جلسته يحاول فهم حديثها :

- خايفة من ايه يا حياة قوليلي ونتكلم سوا براحة

نظرت حياة أرضا تضع يدها على قدمها، تفرك يديها في بعضهم بتوتر :

- خايفة اكون بخون صاحبتي يا وائل، خايفة أوافق انزل في نظر نفسي اني اخدت جوز صاحبتي منها وان...

صمتت لا تعلم كيف تقول ما تريد لذا انتقلت لحديث اخر :

- وكمان خايفة ارفض وأفضل اتعذب باقي حياتي خصوصا اني...

انتبه لها وائل بترقب بعدما احتل اليأس قلبه :

- انك ايه يا حياة؟ قوليها بالله عليك

ابتسمت له حياة ببهوت :

- خصوصا اني حبيتك يا وائل بس خايفة آوي مش عارفة اعمل ايه واقفة في النص الطريق مش عارفة اكمل طريقي ولا الف وارجع؟؟

امسك وائل يدها قائلا بأمل وحب :

- سيبيني انا امسك ايدك واعديكي يا حياة خلينا نكمل الطريق سوا واوعدك عمري ما هاذيكي ولا ازعلك أبدا... و بالنسبة لرجاء الله يرحمها فأنتي كده مش بتخونيها أبدا يا حياة هي ماتت الله يرحمها واظن لو كانت عايشة كانت هتتمنى ليكي السعادة

أنهى حديثه يمد كفه امامها مبتسما داعيا إياها لبدء حياة جديدة بعيدا عن كل الألم الذي عاشوه بعيدا عن كل السجون التي شيدوها :

- موافقة يا حياة نكمل الطريق سوا؟؟

نظرت حياة ليده بتردد ليبتسم هو لها مشجعا وداخله يشعر بالرعب من رفضها ليتبدد ذلك الخوف فور أن وضعت يدها في يده ليبتسم باتساع صارخا بصوت عالي :

- بحبك يا حياة بحبك اوي

نظرت حياة حولها بخجل ضاحكة :

- وطي صوتك فضحتنا يا أخي

جذبها وائل لاحضانه يشاركها الضحك :

- خليهم يسمعوا، خلي كل الناس تعرف اني واخيرا

أخدت براءة من سجني، كفارة يا حياة

خطوة واحدة.. نحتاج فقط لخطوة واحدة حتى نهدم سجوننا.. منا من يخشى أخذ تلك الخطوة ومنا من يغامر ويأخذها..

خرج زين خلف براءة ليفتح عينه بصدمة كبيرة من مشهد جلوس براءة بجانب ذلك الشاب حتى كادت تدخل لاحضانه والغريب هو وجود والده هنا حيث كان يتحدث لفرج ورياض ليتجه زين صوبهم يحاول التحكم في نفسه :

- اقدر اعرف مين الاستاذ اللي لازق لمراتي كده؟

رفع الشاب نظره لها ليقول ببسمة مستفزة ذكرته بزوجته :

- وايه الغريب في كده منا طول عمري لازق ليها

ضغط زين على شفتيه بغضب وكاد يتقدم منه محطما صف أسنانه ذلك الذي يبتسم به مستفزا اياه لولا عزيز الذي نهض سريعا يحاول امساكه عن التهور هامسا له :

- اهدى يا زفت ده اخوها الكبير

هدئ تشنج جسد زين قليلا لكن لم يهدأ كليا ليتجه لبراءة جاذبا اياها بحدة من أحضان أخيها مخبئا اياها في احضانه قائلا بتملك :

- تشرفنا يا استاذ بودي بس اتمنى بعد كده متلزقش للمدام عشان مش بحب حد يقرب منها كده

قالت براءة بنبرة هيام :

- يا دكري

ضحك فرج بصخب قائلا :

- والله وجالك اللي يغير عليكي يا معفنة

ابتسمت براءة بتكبر لفرج :

- يا فرج ده بيموت فيا، عارف ميقدرش يقعد ثانية من غيري يبقى عامل زي البيبي التايه

قال زين ببسمة ساحرة :

- حصل وعشان خاطر البيبي التايه ده اكسبوا فيه ثواب وجوزونا وهنيالك يا فاعل الخير والثواب وحسنة قليلة

انطلقت زغاريد سماح ترج جدران المنزل رجا من قوتها سعيدة واخيرا بزواج صغيرتها بعد أن يأست تقريبا من ذلك، لتدرك أن الله كان يخبئ لها نصيبها من الفرحة فلا تتعجلوا.....

لتعم البهجة جميع الوجوه ويبارك الجميع لبعضه البعض قبل أن تقطع براءة تلك الأجواء :

- استنوا قبل ما تهنوا وتباركوا، انا عندي شرط عشان يتم الزواج ده

نظر لها الجميع بترقب ليقول زين بعدم فهم :

- شرط ايه؟؟

نظرت براءة حولها للجميع وبعدها أعادت نظرها لزين :

- ممكن نتكلم لوحدنا؟؟؟

كان يسري ينظر لابنه بتذمر بسبب عناده ذاك ورفضه العودة للمنزل قبل أن يطمئن على سوسيتا، شرد يسري فيما حدث وفيما كان على وشك فعله

يتذكر الآن المكالمة التي أتت له تبلغه بموت رائد وعدم قدرتهم على إنقاذه هو في الواقع شاكر كثيرا لسوسيتا فقد خففت عنه حمل انتقامه من رائد لم يكن ليضمن نفسه إذا ترك لشياطينه العنان، الآن وفقط ارتاح رغم أنه لم ينتقم منهم بيده إلا أنه يكفيه معرفة أن من ظلم ولده لم يعد معهم بهذا العالم، وأما بالنسبة لمجد سيتأكد بنفسه أن ينال ما يستحق وهو يعلم كيف سيجعله يندم على كل ما فعله سابقا، اما سوسيتا فحب ولده الذي يراه بعينه أصبح شافعا لها عنده، ابتسم بشر يمني نفسه بانتهاء ما يحدث الان ليعود سريعا لمجد ويفعل ما يفكر به..

كان مؤمن يقف أمام غرفة سوسيتا يرفض الذهاب يريد رؤيتها والحديث معها ولو لمرة واحدة، تأخر الوقت ومازال يرفض الذهاب حتى بعد مجئ والدته وترجيه لكنه رفض...

شعر مؤمن بخطوات تقترب منه وصوت حذاء يخطو جهتهم ليلتفت فيجد شابا يكبره في العمر قليلا يتجه إليه حتى توقف أمامه مادا يده معرفا عن نفسه :

- اهلا انا سعيد المنير ابقى مدير اعمال أستاذة سوسيتا، حضرتك تبقى قريب الأستاذة؟؟

كرمش مؤمن ملامحه مرددا بعدم فهم :

- مدير اعمال؟؟

نهض يسري ليتقدم منهم محاولا فهم ما يقول ذلك الرجل ليكمل سعيد ببسمة شارحا مقصده :

- ايوة حضرتك مدير أعمالها يعني انا اللي ماسك كل حاجة تخص الدار بتاعة سوسيتا هانم

لم يفهم مؤمن شئ لذا وضح سعيد اكثر :

- الآنسة سوسيتا بتكون مالكة اكبر دار رعاية في الصعيد وهو دار شامل سواء لكبار السن او اليتامى وفيه مدرسة تابعة للدار وعيادة وغيره من المرافق اللي بتحتاجها

ابتسم الشاب ليخرج كارت عليه اسم وتعريف بالدار :

- اكيد حضرتك سمعت عنه دار "مؤمن" اكبر دار خيرية في جنوب مصر

امسك مؤمن الكارت لا يفهم شئ او بالأحرى لا يستوعب شئ هل قامت سوسيتا ببناء دار واسمته دار مؤمن؟؟ هل هذه مجرد صدفة ام انها فعلت ذلك لأجله، نظر للكارت يتحسسه جيدا حتى لمح جملة أسفل الكارت تبدو كشعار او ما شابة، قرأ الجملة بتمهل شديد وضربات قلبه تزداد شيئا فشئ

(على روح أطيب رفيق وأنقى القلوب "مؤمن")

سقطت دموع مؤمن بشدة لينظر له سعيد بتعجب قائلا :

- الانسة سوسيتا كويسة؟ انا اول ما عرفت جيت هنا على طول، كنت رايح اجيب فلوس الشهر منها فكرتها رجعت بس جيرانها قالولي إن البوليس بلغهم بحالتها لأنهم كانوا مبلغين عن اختفائها ، حتى المتبرعين بقالهم فترة مش عارفين يوصلوا ليها

انتبه سعيد انه تمادى في الحديث مع الغرباء فهو من النوع الثرثار قليلا:

- معلش دوشتك معايا بس هو حضرتك مين! ؟؟

نظر مؤمن بدموع للكارت :

- انا مؤمن

نظر له سعيد يضيق مابين حاجبيه يتساءل عن تلك الصدفة ولا يعلم أنها ليست صدفة أبدا :

- زي الدار؟؟

تركه مؤمن ولم يجيب عليه متجها نحو زجاج غرفة سوسيتا يضع يده عليها قائلا بدموع :

- سوسيتا اصحي عشان خاطري، هصلح من نفسي وهتوب يا سوسيتا عشان استحقك هغير من نفسي والله، اصحي انا مسامحك احنا الاتنين غلطنا

بس هنعدي ده كله، مش هسيبك وهفضل جنبك دايما بس إنتِ فوقي ارجوكي

شعر بيد والده تربت على كتفه ليقول بدموع وهو مازال ينظر لسوسيتا :

- تفتكر هنقدر ننسى كل اللي فات؟؟

ابتسم يسري وهو يضم ابنه بحنان :

- هنعديه يا مؤمن هنعديه بس سوا..

رفيق يسحبنا للنور.. هذا فقط هو كل ما نحتاجه لنكسر حدودنا ونتخطى وجعنا.

فقط نحتاج لذلك الرفيق...

كان زين ينام في الغرفة التي كان يقطن بها سابقا حينما أتى للمنزل اول مرة... بينما ذهب والده للنوم مع فرج بعد أن أصر فرج عليه حتى يتحدثوا بحرية سويا..

فجأة شعر زين بصوت خطوات في غرفته ابتسم عالما لمن تلك الخطوات لكنه ادعى النوم حتى اقتربت تلك الخطوات اكثر واكثر. اضحت براءة أمامه مباشرة لتنحني ببطئ صوبه هامسة :

- بسسس ببلاوي..... بسسس ببلاوي

كتم زين ضحكة كادت تنفلت منه لكنه منعها بصعوبة شديدة لكن براءة لم تيأس بل اخذت تهزه بعنف قليلا :

- سليمان قوم يا سليمان

هنا انفلتت ضحكات زين لترن جدران غرفته هاتفا بصعوبة من بين ضحكاته :

- يابنتي ايه كمية الافيشات اللي حفظاها دي

ابتسمت براءة لتقول جاذبة إياه :

- سيبك من الافيشات وتعالى معايا بسرعة اوريك حاجة

نهض زين من فراشه قائلا بمزاح :

- ايه هنجيب بيرسول زي اخر مرة؟؟ ولا هنروح نطمن على محمد وحسنين؟؟

ضحكت براءة بخفوت هامسة :

- لا هوريك حاجة احلى تعالى معايا

لحق بها زين وهو يتسحب على أطراف أصابعه مبتسما يتذكر شرطها الذي عرضته عليه البارحة وهو أن يتعالج اولا ويذهب للطبيب وبعدها يمكنهم إتمام الزفاف وافق وقتها فورا فهو غير مستعد لرفض طلبها ذلك والذي وضعته شرطا للزفاف وايضا هو أصبح يرغب في التحرر نهائيا من سجنه... يرغب في عيش حياة عادية بعيدا عن مخاوفة التي يشحن نفسه بها...

خرج الاثنان من المنزل سائرين في الشوارع وقد بدأت القرية تبتعد عنهم شيئا فشئ... لحق زين براءة بصمت يرتقب ليرى إلى أين ستأخذه.

وبعد السير لفترة طويلة توقفت براءة تقول ببسمة واسعة :

- وصلنا..

نظر زين إلى حيث تنظر ليرى تلة مرتفعة بعض الشئ ينبت بها اعشاب جعلت منظرها أسفل ضوء القمر مبدع جدا بالإضافة للنجوم التي تزين السماء

نظرت براءة لزين قائلة ببسمة :

- ايه رأيك؟؟ ده مكاني السري اللي كنت باجي فيه زمان عشان اقعد لوحدي

تقدم زين من التلة قليلا ليبتسم مردفا :

- طلعتي رومانسية اهو وجيباني على تلة في ضوء القمر

ضحكت براءة تتقدم أيضا من التلة لتبدأ في الصعود عليها :

- لا بص ده انا ههريك رومانسية بس صحصح معايا كده

لحق بها زين مبتسما حتى وصلوا لقمة التلة ليلقوا اجسادهم على الحشائش التي تعلوها لتقول براءة ببسمه ناظرة للقمر :

- كنت زمان لما حد بيزعلني اسيب لهم البيت واجي هنا افضل اعيط بعدين ارجع ولا كأن حاجة حصلت ووعدت نفسي إن اول مرة هاجي هنا بليل هيكون مع اللي بحبه

نظر له زين متعجبا لتوضح اكثر :

- عمري ما جيت بليل هنا، دايما كنت باجي الصبح ووعدت نفسي لما قلبي يختار حد هيكون اول شخص اجي معاه لهنا ونقعد تحت ضوء القمر سوا زي ما احنا قاعدين كده

نظرت له ممسكة يده قائلة ببسمة :

- وامسك ايده كده واقوله اني بحبه

شعر زين بضربات قلبه تزداد عنفا ليقول ببسمة عاشقة :

- وانا كنت المحظوظ اللي فاز بالاميرة

هزت براءة رأسها بإيجاب ليقترب زين مستندا بجبينه على جبينها هامسا :

- خليكي دايما جنبي يا براءة اوعي في يوم تسبيني لاني وقتها ممكن اموت فيها والله

اقتربت منه براءة تضع رأسها موضع قلبه ثم رفعت يدها تربت على شعره بحنان :

- لآخر نفس يا قلب براءة، لآخر نفس هفضل معاك لغاية ما تخرج من السجن ده كله ووقتها نبني سجن لينا احنا الاتنين سوا ونقعد فيه، بس المرة دي هيكون جدرانه مبنية على الحب يا زين.

ابتسم زين يضمها إليه اكثر واكثر شاكرا الله على منحه تلك الفرصة للعيش مجددا ليهمس بعشق :

- هنمشي الطريق سوا خطوة خطوة واوعدك مع كل خطوة هيزيد حبي ليكي أضعاف واضعاف، وهخبيكي بعيوني يا براءة، وعمري في يوم ما هفرط في برائتي..

واتضح في نهاية الأمر أننا فقط كنا ننتظر تلك الفرصة التي ستمنحنا براءة للعيش مجددا خارج جدران السجون..

ننتظر ذلك الرفيق القادر على اقناعنا بالعالم الخارجي

ننتظر ذلك القادر على جعلنا نرى العالم جميلا لكن فقط من خلال عيونه هو

ننتظر ذلك الشخص الذي يجبرنا على التخلي عن سجوننا فنخرج منها مهرعين إليه.. نستقبل أحضانه بشوق كبير فنترك السجن الذي بنيناه لأنفسنا إلى سجن أحضانه والذي عند دخولنا إليه لن نخرج منه هذه المرة ولو احضروا لنا ملايين من

تصاريح البراءة..

تمت بحمد الله